صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية شهرية

دمشق ص.ب ٢٥٧٧ هاتف ١٦٢٩١

تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٠

العدد السادس

السنة الثالثة

تحية الاجلال يا أبطال الجزائر !



ست سنوات يا أبطال الاهراس ؟ ست سنوات لو تتحدث الايام بعدها عن مفاخرها كنتم في حديثها الاولين . ست سنوات بأيامها ولياليها ما مرت ساعة منها الا علمتم الشعوب فيها صدق العزيمة وجميل الصبر وجلال الاقدام . ست سنوات ، وتقف أمتنا العربية بعدها لتبرهن – وما أكثر ما برهنت – أنها أمة خالدة تتحدى الزمن وتستهين بشدائده وصعابه ، لم توهن النكبات من عزائمها مهما امتدت وطال أمدها .

يا أبطال الجزائر ! والله لن نخادعكم ولن نرائيكم ، ووالله لن نخادعكم ولن نرائيكم ، ووالله لو مثل جهاد هذه الامة بحجر لقدسناه فكيف وهو يتمثل بكم ؟ بذلتم من أجل حريتكم فكنتم خير الباذلين ، وصمدتم للطغيان فكنتم على الدهر أصدق الصامدين .

يعطي الشهيد فلا والله ما شهدت عيني كاحسانه في القوم احسانا

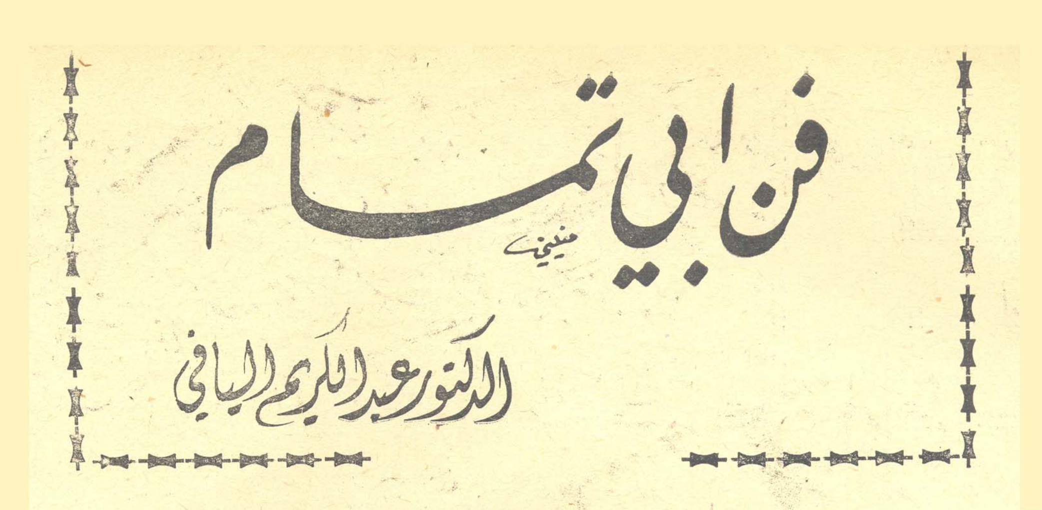
وغاية الجود أن يسقي الثرى دمه عند الكفاح ويلقى الله ظمآنا

أغريب بعد هذا ان كنتم لكل عين سوادها ولكل قلب سويداءه ؟

أما انتم يا ساسة فرنسا ! فوالله ما عرف تاريخ البشرية قوما كانوا أكثر صفاقة مما أنتم عليه . ترون الحق وتتعامون عنه ؟ وبعد ! ففي الساعة التي يبصق العالم فيها في وجوهكم لما ترتكبون من جرائم وآثام يتمنى كل حر أصيل أن يجعل من صفحة خده موطئا لاقدام كل مجاهد من الجزائر تقربا وتقديرا . فبعض الحياء يا أدعياء الحضارة ان كنتم تعرفون الحياء وبعض الفهم ان كنتم تدعون الفهم . لقد آن لكم أن ترضخوا لشعب يوجه لكم الضربة تلو الضربة حتى في عقر داركم وانتم لا ترعوون .

يا أبطال الجزائر ! لقد أضفتم الى مجد هذه الامة أمجادا ، والى مفاخرها مفاخر ، وعلمتموها من ضروب الجلد والصبر ما كانت في غفلة عنه . وما نحن منكم الا كذاك الاعرابي الذي أضله ظلام ليل حالك سواء السبيل فلما خرج اليه البدر أرشده فناجاه قائلا : لا أقول أعلاك الله فقد أعلاك ولا أقول جملك الله فقد أبهاك ، ولكني أقول : جعلني الله فداك .

مدحة عكاش



فن أبي تمام

منيني

الدكتور عبد الكريم اليافي

عندما نتناول بالدراسة جانبا من الشعر العربي ينبغي أن ننتبه دائما الى صفتين فيه متلازمتين ومتتامتين وهما :

انه اولا ذو خصائص ذاتية تحتاج الى ايضاح لا يشاركه فيها ادب من الآداب العالمية الاخرى ، وانما يمتاز بها ويتفوق بحيازتها على سائر الآداب العالمية .

وأنه ثانيا فن انساني عالمي وهو من اجل ذلك لا بد من ان يشبه الفنون العالمية الانسانية الكبرى وتشبهه من حيث خطوط النمو والتطور الرئيسية .

أما الوصف الاول وهو ان الشعر العربي ذو خصائص ذاتية يمتاز بها فياتي في طليعتها استمراره وبقاؤه الطويل الخالد مع احتفاظه الدائم بالجدة والنشاط والمرونة الكبيرة . ولم يتح هذا الاستمرار والبقاء لادب من الآداب الاجنبية المعروفة .

فنحن اليوم في سنة ١٩٦٠ نحتفل بشاعر عاش قبل اثني عشر قرنا ونتفهمه بيسر وسهولة على رغم صعوبته هو وتعقيده . وذلك أننا مازلنا نستعمل اللغة التي غنى فيها ونتداول الالفاظ التي برع في طرافة تركيبها وملاءمة بعضها لبعض ، كما نتفهم بنفس اليسر والسهولة من أتى قبله من الشعراء منذ اكتمال اللغة العربية واشتهارها القديمين ، على حين ان الامم الاخرى ذات الآداب العالمية لم يكن لها آداب ولا لغة قبل بضعة قرون . نحن اذن امام خاصة يمتاز بها الشعر العربي والادب العربي واللغة العربية وهي الاستمرار والبقاء بل الخلود . وبرغم هذا التقادم الطويل نستمتع في لغتنا وادبنا واشعارنا بمرونة عجيبة وحيوية طافحة ودقة لاتتناهى وخصب وغنى استاثرت هذه اللغة واستاثر أدبها بهما دون سائر اللغات .

وأما الوصف الآخر فهو ان الشعر العربي لما كان فنا من اعلى الفنون الانسانية واغلاها لزم ان يكون قد مر بمراحل من التطور كبيرة ومهمة . ذلك هو منطق التاريخ المبرم . ولكن التطور الواسع الذي اصاب الشعر العربي كان تطورا خاصا ، كان افضل انواع التطور . ذلك ان الشعر العربي قد تطور في غضون الاحقاب المتطاولة الماضية ما شاء ان يتطور ، ولكنه استطاع ان يحافظ مع ذلك على ذاته وجوهره دون ان يلحق به التطور خروجا عن طبيعته الاصيلة وانما زاده غنى ومرونة وخصبا .

واذا بدا لنا اقتران هذين الوصفين غريبا فنحن تجاه شاعر لا بد حين ندرس خصائص شعره الفنية من ان نشير تباعا الى ذينكم الوصفين العامين . سيبدو لنا في فن ابي تمام عناصر التطور الضخم الذي اتسع له أفق الشعر العربي من جهة اولى ، وذلك أن أبا تمام اكبر مجدد في الشعر العربي ، كما سوف تبدو عناصر الفكر الفنية العالمية في شعر ابي تمام نفسه من جهة ثانية ، وذلك كله من خلال بيانه العربي الأصيل المتصل بمرحلته التاريخية .

هذا البيان في عصره جمع رقة بردى وعظمة النيل وتدفق الفرات وغطرسة دجلة وزركشة بلاد سيحون وجيحون وتهاويل وادي سيحان وجيحان (١) .

وقد اضاف الى بياض النهار ونصوعه سواد الليل وغموضه والى متوع الضحى وتألقه تامل الاصيل وسحره والى روعة العشيات وشجونها انبلاج الاسحار وفتونها .

ضم الى كثرة صور الارض لألاء القمر وبهاء الشمس وكبرياء المشترى وباس المريخ وظرف عطارد وخصائص بقية السيارات والنجوم كما جاءت اسماء هذه الكواكب جميعها في شعره .

وقد ورث كنوز اللفظ ولؤلؤ الكلم وابريز الحرف وحلي القريض وماس القافية وزمرد الظلال ووهج الالوان وركب ذلك كله وصقله وجلاه في صنعة جديدة مبتكرة .

هذا فضلا عن كثرة الحركات وبراعة الاشارات وخفاء التلميحات وندرة اللهجات وتنافر المتناقضات ورجع الاصداء القديمة والحديثة .

كان الشعر العربي قد مر نحو ثلاثة قرون على اتساعه واكتماله وتنوع اغراضه وتفنن التعابير فيه . وقد نبغ من

---

(١) ـ حيث مدينة المصيصة التي انشد ابو تمام المعتصم مديحه فيها بعد معركة عمورية .

الشعراء الجاهليين والمخضرمين والامويين وشعراء صدر الدولة العباسية من نبغ ، وغنى منهم من غنى في اجواز البلاد العربية المترامية ، وكأنما كان الشعر ينتظر تطورا جديدا في التعبير وطريقة الصوغ ، بعد اذ عرف ارهاصات جديدة على لسان مسلم بن الوليد وبشار بن برد . ولكن رسالة الشعر الجديدة اذ ذاك انما قدر ان ينهض بهـا ويؤديها ذلك الفتى الناشيء الاسمر اللون الطويل القامة الاجش الصوت ذو التمتمة اليسيرة من قرية جاسم على طرف الطريق الذاهب من دمشق الى طبرية .

وكانت البلاد العربية اذ ذاك اغنى بلاد العالم قاطبة واكثرها عمرانا واشدها تقدما وآلقها حضارة كانت كنوز الدنيا تحمل اليها وتجبى لها . وكان عصر ابي تمام عصر خلافة الرشيد والامين والمأمون والمعتصم والواثق ، بلغ العلم والثقافة والفكر فيه أوج الاتساع والرقي والقوة . ويهمنا في الحين بعد الحين ان نربط بعض الشيء بين خصائص فن أبي تمام وبين صفات العصر العامة الذي عاش فيه ، اما غنى ذلك العصر فربما يكفي ايراد مثل واحد بارز معروف لتذكير أبهة الحضارة وترف المعيشة وتفنن ألوان الحياة . ففي عصر ابي تمام ، في سنة ٢١٠ هجرية حصل عرس المأمون على بوران بنت الحسن بن سهل ويذكر المؤرخون كيف فرش له يوم العرس حصير من ذهب ونثر عليه الف حبة من الجوهر وأشعل بين يديه شمعة عنبر وزنها مائة رطل ونثر على القواد رقاع بأسماء ضياع فمن وقعت بيده رقعة أشهد له الحسن بالضيعة . وكان ابو تمام متصلا بأمراء عصره ورجال الدولة ، وهو الفقير الذي بدأ حياته حائكا بدمشق ثم صار بمصر يسقي الماء في جامع عمرو ، فأطلع على ألوان تلك الحياة المترفة وافانينها . ومن جملة من اتصل بهم ونال جوائزهم الحسن بن سهل هذا حمو المأمون والخليفة المأمون نفسه وكذلك المعتصم من بعده ثم الواثق وطائفة من قادة الثغور وامراء البلاد . واذا كان الامر كذلك فلا بد من ان يكون شعره محلى بانواع الزينة تحلية تلك الحياة التي يحياها أولئك الرجال مزخرفا بألوان البديع والصناعة زخرفة مجالي العيش الذي يعيشونه . ولا عجب اذا انتبه الشاعر الى تلك المحسنات البديعية في صنعة متعمدة تظهر فيها احيانا آثار الدأب والجهد .

فهو القائل في المديح :

يمدون من أيد عواص عواصم
تصول بأسياف قواض قواضب

مجانسا بين عواص وعواصم وقواض وقواضب جناسا مذيلا ،

وكذلك يقول في النسيب :

وانجدتم من بعد اتهام داركم
فيا دمع أنجدني على ساكني نجد

معتمدا على جناس الاشتقاق بين انجاد الاحباء وانجاد الدمع ومكان نجد ، وعلى الطباق بين الانجاد والاتهام .

وكذلك يقول في هديل الحمام :

لا تشجين لها فان بكاءها
ضحك وان بكاءك استغرام

هن الحمام فان كسرت عيافة
من حائهن فانهن حمام

معولا على الطباق بين البكاء والضحك وعلى الجناس المحرف بين الحمام والحمام .

واما العلم والثقافة والفكر النير في ذلك العصر فلقد كانت العبقريات تتفتح كالنجوم في كل أفق وكانت البلاد كلها تعج بالائمة في كل ميدان من ميادين المعرفة كالفقه والحديث والتفسير واللغة والنحو والادب والشعر والتاريخ والرياضة والفلك والموسيقى والفلسفة وامثالها . ولا شك ان ابا تمام قد صادف فريقا من أولئك الائمة في دمشق ومصر وبغداد وبقية ارجاء الدولة العربية واستمع اليهم وانشدهم من شعره . ويضيق المجال هنا عن الاشادة بأولئك الائمة الاعلام .

ذلك عصر عجيب في ثقافته وحضارته وتقدم جميع أنواع المعرفة ابانه . ولذلك لا غرو اذا حمل شعر أبي تمام ثمرات تلك المعرفة الواسعة ، والتقت في مونق قوافيه ظلال تلك الثقافة المتفننة وانعكست في مشرق حروفه أشعة تلك الحضارة الوهاجة . واضطر مطالع شعره الى ثقافة كبيرة تتصل بجوانب تلك الحضارة . فشعره يمس ذلك جميعا في الموضع بعد الموضع والحين تلو الحين . وهو مما يسهل العثور عليه وتبينه عند المطالعة وان كان يبدو هذا الشعر معقدا وعرا صعبا ولكنه لا يلبث ان ينجلي لدى الادمان واعمال الفكر .

ويجوز لنا ان نمضي في هذا النحو من الكلام ونذكر الامثلة المتعددة على ذلك الفني الفكري وعلى ألوان المعرفة والثقافة في شعر أبي تمام . وهذا النحو من البحث سهل ويسير . ولكننا نؤثر ان ندع ذلك ونبين بايجاز جوانب الابتكار وعناصر الطرافة والتجديد في شعر اكبر مجدد في تاريخ الشعر العربي . فمن المعلوم ان أبا تمام كان رأس مدرسة شعرية تركت اكبر الآثار . يقول عنه الصولي الذي جمع اخباره : « رأس في الشعر مبتدىء المذهب سلكه كل محسن بعده فلم يبلغه فيه حتى قيل مذهب الطائي وكل حاذق بعده ينسب اليه ويقص أثره » .

وما ذكره الصولي أصبح منذ القديم متداولا متعارفا مجمعا عليه . ونحن نريد هنا ان نبين ملامح هذا المذهب الجديد في ضوء من المعرفة جديد .

فمن أولى خصائص هذا التجديد تحميل الالفاظ اكثر من مجرد دلالاتها وذلك باعتماد المجاز والاستعارات وامثالها . واذا كان المجاز والاستعارة معروفين متداولين عند العرب القدماء فان شدة اعتمادهما عند ابي تمام من شأنها ان تخرج اللفظ عن دقيق دلالته ومضبوط معناه لتوحي من ورائه بمعنى آخر لمجرد علاقة من العلاقات .

ولايضاح ما أقصده أضرب مثلا بفن التصوير . فبدلا من ان يعمد المصور اذا أراد أن يصور أسرة سعيدة الى تصوير جميع أفراد الاسرة في بهو البيت بابتساماتهم واشكالهم وسحنهم الدقيقة أصبح يرسم بعض الخطوط التي تدل على البيت ويسبغ عليه جوا من ايحاء السعادة نشعر به من خلال النور المتلألىء الخارج من النافذة في الظلام والدخان المنطلق من الموقد . أو هو يأخذ على طريقة بيكاسو الحديثة مثلا فردا من افراد الاسرة ويجعله يمثل الاسرة جميعها بادخال خطوط والوان جديدة مغايرة للمألوف ولكن بينها في حد ذاتها تلاؤما ، كما ان بينها وبين ماتدل عليه من المعاني علاقات ينبغي أن يجدها المتأمل ويكشف عنها بالتدريج فيجد لذة وخصبا في هذا التأمل والكشف .

وهذا هو الذي صنعه ابوتمام في ميدان الشعر بالنسبة الى دلالات الالفاظ والكلمات . اصبحت الالفاظ لاتؤدي دلالاتها ومعانيها بالضبط بل هي تطمح الى شيء آخر . انها اصبحت لا تستعمل لمعانيها الموضوعة لها بالتدقيق ، بل لتناسبها ومراعاة نظائرها واضدادها . المعنى الشعري العام لا يحصل كما في الرسم الدقيق من اتصال هذه الدلالات الجزئية بعضها ببعض بدقة ولطف واستمرار بل من تقاطع هذه الدلالات تقاطعا عنيفا متضادا في كثير من الاحيان . هنا لا يهتم المصور بالرسم والخط وانما يهتم بلطخات الالوان وتعادلها وبما تحمله من ايحاء وبما تشتمل عليه من ايقاع وتناسب .

لنأخذ قصيدة مشهورة من قصائد حبيب ، وهي التي قالها في موقعة عمورية . وهي كلها جديرة أن يستشهد بها هنا ، ولكننا نجتزيء منها ببعض الابيات :

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في
متونهن جلاء الشك والريب

والعلم في شهب الارماح لامعة
بين الخميسين لا في السبعة الشهب

نجد منذ الاستهلال ان التعبير اختلف تماما عما ألفناه عند الشعراء الجاهليين والمخضرمين والذين عاشوا في فجر الاسلام . الالفاظ تحمل اكثر من معانيها . وكل لفظ ليس مستقلا في حد ذاته وانما جاء به ما بينه وبين غيره من تناسب وتجانس وتضاد . فالسيف استعمل هنا رمزا الى القوة والحرب . والكتب وردت رمزا الى التنجيم . والحد الثاني ومعناه الفصل بين الشيئين انما أتت به مجانسته للحد الاول حد السيف والحد الاول انما اتى به جناس التصحيف مع الجد ، ولفظ الجد هذا استدعى اللفظ المضاد وهو اللعب .

والبيت الثاني توكيد للبيت الاول بشكل مزخرف متألق خطابي جاء بالفاظه الطباق بين البيض والسود وتجنيس القلب في الصفائح والصحائف .

والبيت الثالث توكيد جديد للفكرة نفسها فهو يقول فيه: صحيح العلم في الحرب لا ما استدللتم عليه بالنجوم . ولكنه يختار للدلالة على النجوم لفظ الشهب التي هي أخص منها ويستعير اللفظ نفسه لاسنة الرماح زخرفة وتزويقا ومجانسة . وهكذا نرى ان ألفاظ هذه الابيات مختارة اختيارا خاصا يخرجها في كثير من الاحيان عن دلالاتها الدقيقة ليقصد الى ما بينها من تناسب وتجانس وتضاد وما تستطيع ان تضفيه من ايحاءات قوية .

ولتحميل اللفظ اكثر من معناه عول ابو تمام ايضا في قصائده على التلميح والاشارة الى ايام العرب وحوادث التاريخ والقصص المأثورة وضرب الامثال . وفي ذلك ما فيه من ايحاء وتذكرة وارضاء للثقافة الواسعة واشعاره حافلة بذلك حفولا واضحا لا يحتاج الى تفصيل ، ووضوحه يغنينا عن ذكر الامثلة .

على ان الخاصة الكبيرة البارزة في شعر ابي تمام اعتماده على تغاير الحدود والتضاد . التضاد يتبوأ مكانة كبيرة في هذا النوع من الفن الشعري . انه تلوين بالاضداد اذا اردنا ان نعتمد التشبيه . وانما يحصل الغرض الشعري هنا من تقاطع الفكر المتضادة واشتباكها . ويسمي علماء البديع ذلك طباقا اذا وقع بين لفظين ومقابلة اذا وقع بين جملتين . ولكن القضية هنا أعمق من ذلك بكثير . فتفكير ابي تمام قائم على مراعاة التضاد في اغلب الامور . ان تفكيره يصح ان ننعته في العصر الحاضر بكونه جدليا ديالكتيكيا . فهو في الشعر يجمع غالبا بين الاضداد والعناصر المتنافرة المتغايرة .

لنستمع الى هذه المقابلات ذات الاضاءات النسبية المتضادة ان صح هذا المجاز في القصيدة نفسها وهو يصف حريق عمورية :

غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى
يشله وسطها صبح من اللهب

حتى كأن جلابيب الدجى رغبت
عن لونها أو كأن الشمس لم تغب

ضوء من النار والظلماء عاكفة
وظلمة من دخان في ضحى شحب

فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت
والشمس واجبة من ذا ولم تجب

والقصيدة كلها تتجه هذا الاتجاه وتسلك هذا النهج وتعتمد في بلوغ غرضها الفني اشتباك المعاني العنيف وتقاطع الدلالات المتضادة وتقابل الصور والافكار ومراعاة نسبها الفنية كما يعمد الى ذلك بعض المهندسين او المصورين .

ان أبا تمام اكبر مجدد في الشعر العربي القديم . وتجديده هذا انما تناول بنية الشعر وتركيبه او عموده كما يقول النقاد القدماء الذين انتبهوا الى هذا التجديد ووعوه تماما . فلقد تناول ابو تمام الأغراض الفنية القديمة فوقف بالطلول وبكاها وشبب ومدح ورثى ووصف واستعمل كثيرا من الالفاظ العربية الغريبة وبعض اللهجات القليلة الشيوع . وكل ذلك مما موه على بعض الباحثين الحديثين في الادب العربي فلم يدركوا حركة التجديد هذه العميقة التي حمل رايتها هذا الشاعر . وانما نسبوا التجديد الى ابي نواس الذي اراد ان يعالج بعض الافكار الجديدة الخارجة عن العرف والعادات ولكنه كان اتباعيا كلاسيكيا في شعره بخلاف أبي تمام .

والدليل هو ان النقاد القدماء كانوا راضين عن ابي نواس جملة ما عدا افحاشه في القول وجرأته على العرف وخروجه عن العادات الحميدة اذ هو لم يتنكب عن عمود الشعر العربي . ولقد قال فيه الجاحظ : « ما رأيت رجلا اعلم باللغة من ابي نواس ولا أفصح لهجة مع مجانبة الاستكراه » . وقال ابن السكيت معاصر ابي تمام : « اذا رويت من اشعار الجاهليين فلامريء القيس والاعشى ومن الاسلاميين فلجرير والفرزدق ومن المحدثين فلابي نواس فحسبك » .

أما أبو تمام فالقدماء مجمعون على خروجه عن عمود الشعر العربي ، هذا مع اطلاعه الواسع على اللغة وعلى اساليب العرب . يروى ان اعرابيا سمع قصيدته :

طلل الجميع لقد عفوت حميدا
وكفى على رزئي بذاك شهيدا

وسئل كيف ترى هذا الشعر ؟ فقال : « فيه ما استحسنه وفيه ما لا اعرفه ولم اسمع بمثله فاما ان يكون هذا الرجل اشعر الناس واما ان يكون جميع الناس اشعر منه » .

ويروى ايضا ان اللغوي المشهور ابن الاعرابي سمع شعره فقال : « ان كان هذا شعرا فكلام العرب باطل » .

هذا مع اخبار كثيرة تشير الى تجديد ابي تمام والى تعقيد شعره كتعقيد تلك الحضارة التي اتسع سلطانها اذ ذاك الاتساع كله .

وللاتجاه الديالكتيكي الذي اتجهه ابو تمام استطاع ان يولد كثيرا من المعاني « كم ترك الاول للآخر » كما يقول . وقد عرض ابو العلاء المعري رأيه فيه في رسالة الغفران فقال : « كان صاحب طريقة مبتدعة ومعان كاللؤلؤ متتبعة يستخرجها من غامض بحار ويفض عنها المستغلق من المحار » . ويذكر رأيه في موضع آخر من الرسالة على لسان عنترة العبسي حين وقف ابن القارح في الجحيم فقال : « واني اذا ذكرت قولك هل غادر الشعراء من متردم لاقول انما قيل ذلك وديوان الشعر قليل محفوظ . فاما الآن فقد كثرت على الصائد الضباب وعرفت مكان الجهد الرباب (١) واو سمعت ما قيل بعد مبعث النبي (ص) لعتبت نفسك على ما قلت وعلمت ان الامر كما قال حبيب بن أوس :

فلو كان يفنى الشعر أفناه ماقرت
حياضك منه في العصور الذواهب

ولكنه صوب العقول اذا انجلت
سحائب منه أعقبت بسحائب

فيقول وما حبيبكم هذا ؟ فيقول شاعر ظهر في الاسلام وينشده شيئا من نظمه فيقول اما الاصل فعربي واما الفرع فنطق به غبي ، وليس هذا المذهب على ما تعرف قبائل العرب فيقول وهو ضاحك مستبشر انما ينكر عليه المستعار . ، وقد جاءت العارية في أشعار كثير من المقدمين الا انها لا تجتمع كاجتماعها فيما نظمه حبيب بن أوس » .

هذا وقد التزم أبو تمام النهج الذي سلكه في جميع شعره ، ولا بد لنا من بيان ذلك في بعض الاغراض الشعرية ولو قليلا لاهميته فيما نقصد اليه . يقول حبيب :

ولكنني لم أحو وفرا مجمعا
ففزت به الا بشمل مبدد

ولم تعطني الايام نوما مسكنا
ألذ به الا بنوم مشرد

وطول مقام المرء في الحي مخلق
لديباجتيه فاغترب تتجدد

(١) ـ في الطبعة التي حققتها بنت الشاطىء : « وعرفت مكان الجهل الرباب » ولم يظهر معنى هذه الجملة للمحققة وربما كانت محرفة عما اثبتناه . وانما اوحى الى ابي العلاء بهذه الصورة بيتا ابي تمام الآتيان .

فاني رأيت الشمس زيدت محبة
الى الناس أن ليست عليهم بسرمد

فالوفر المجمع والشمل المبدد والنوم المسكن والنوم المشرد كل منها قرين الآخر والاقامة والاغتراب والاخلاق والتجدد كلها تجري مشتبكة متصلا بعضها ببعض . حتى الشمس ينبغي ان تغيب وان تشرق وان تظهر وان تحتجب حتى تزيد محبتها . التضاد هنا اساس التفكير كما يقول الجدليون .

ويصف ابو تمام الربيع فيجلب انتباهه انه ختام الشتاء ومقدمة الصيف فهو يعرفه بالتضاد ، ويبين ان الشتاء بما احتوى من امطار هو الذي هيأ ثمرات الصيف . فالشتاء محمود برغم عوادي برده ووبله . انما نجد في الربيع مطرا يشتمل على صحو وصحوا يشبه في غضارته المطر . فالربيع اذن مطر في صحو وصحوفيمطر.والغيثغيثان : غيث ظاهروهو المطر وغيث باطن مضمر وهو الصحو . اننا في نثرنا نظم ابي تمام يخيل الينا كأننا نلخص كلام هيغل في الديالكتيك الذي صنعه ، ولو عالج هذا الفيلسوف هذا الموضوع لما أتى بشيء اكثر :

نزلت مقدمة المصيف حميدة
ويد الشتاء جديدة لا تكفر

لولا الذي غرس الشتاء بكفه
لاقى المصيف هشائما لا تثمر

كم ليلة آسى البلاد بنفسه
فيها ويوم وبله مثعنجر

مطر يذوب الصحو فيه وبعده
صحو يكاد من الغضارة يمطر

غيثان فالانواء غيث ظاهر
لك وجهه والصحو غيث مضمر

وهو يرى من خلال هذا التضاد ان الحركة هي الاصل في حسن الطبيعة وجمال الارض على خلاف الاشياء المصنوعة الثابتة :

أو لا ترى الاشياء ان هي غيرت
سمجت وحسن الارض حين تغير

أبو تمام في رأينا ابو الجدل الحديث المستند الى التغيير والى الحركة . ولكنه منتهج الجدل هذا في شعره . كان ذا مذهب شعري مبتكر وان مس هذا المذهب الشعري الفلسفة ، كما ان هيغل بعده بأحقاب كان ذا مذهب فلسفي جديد وان كانت دعائمه تستند الى بعض الاعتبارات الفنية .

ان الشعر العربي في الحقيقة لم يخل في يوم من الايام من هذه المقابلات المتضادة التي هي من خصائص الفكر . ولكن الفرق كبير بين ابرازها حين تشف عن حركة طبيعية دون ان يتجاوز التعبير هذه الحركة وبين اعتماد التضاد وتعاقب الافكار وتقاطعها في اغلب الاحيان ان لم يكن في جميعها للبلوغ الى الغرض الفني .

ان الشجاع الحق والمقدام الواعي يلوح له الاحجام كما يلوح له الاقدام . ولكنه بعد التردد الطبيعي ولو كالبرق يرفض الاحجام لان فيه الذل ولانه لا يليق بالحياة الانسانية الكريمة الصحيحة . فالانسان كل الانسان يقدم ولا يفر ولو لاح له في الخيال امكان الفرار . هذه هي جدلية الاقدام . وقد عبر عنها الشاعر العربي القديم الحصين بن الحمام اجمل تعبير واوجزه حين قال :

تأخرت أستبقي الحياة فلم اجد
لنفسي حياة مثل أن اتقدما

فرسم الشاعر العربي القديم هذه الحركة النفسية بعبارات دقيقة كاملة الدلالة متقنة الاداء وبقي كلاسيكيا في تعبيره لانه كان رفيقا بهذه العاطفة النفسية ولم يصورها بعنف ولا باستعارات متعمدة كما يصنع ابو تمام .

لقد اراد هذا الشاعر ان يمدح الخليفة المعتصم في قصيدته التي على اللام وان يصفه بالشدة واللين معا .. فهو يعتمد لفظي السهل والجبل مجازا فيقول :

شرست بل لنت بل قانيت ذاك بذا
فانت لاشك فيك السهل والجبل

وهذا ما يختلف عن تعبير ابي نواس الذي نظر اليه ابو تمام كما يقول المتقدمون :

كالدهر فيه شراسة وليان .

ان من صفات الديالكتيك طرح الفكرة ثم نقضها ثم جمع الفكرة والنقيض معا فيما يدعى بالتركيب . ومع ان هذا البيت السالف لا يحبه علماء البلاغة لما فيه من تكلف نجده يشف عن هذه المراحل الثلاث من الاثبات والنفي ونفي النفي او الفكرة وطباقها وتركيبها . ونجد مثل ذلك في هذا الاستهلال :

من سجايا الطلول الا تجيبا
فصواب من مقلتي أن تصوبا

فاسألنها واجعل بكاك جوابا
تجد الدمع سائلا ومجيبا

وهكذا يتجلى الفكر الديالكتيكي بأبرز صوره عند ابي تمام في اطار فنه الذي رفع لواءه . واذا كان الجمال الفني يحصل من مطابقة اللفظ للمعنى والمعنى للفظ وكانت هذه المطابقة حاصلة في الشعر الجاهلي وشعر صدر الاسلام كان الجمال من أخص صفات هذا الشعر الاتباعي الكلاسيكي . ولكنا نجد هنا في شعر ابي تمام ان اللفظ أحيانا يتحمل اكثر من معناه المخصص له ، ولذلك كان هذا الفن قريب الصلة بايحاء شعور الروعة والسمو والفخامة والخطابة واشد شفوفا عن المأساة لاصطراع العناصر التي يشتمل عليها . وهذا هو السبب الذي من اجله برز ابو تمام في المدائح والمراثي ، لان الاولى اقرب الى جو الفخامة والروعة ولان الثانية ملتصقة بالمأساة اشد الالتصاق . وقد ذكر القدماء قيمة مدائحه ومراثيه ونوهوا بها دون ان يبينوا لنا سبب ذلك ولا صلته بطبيعة تفكير الشاعر ولا آصرته بفنه الذي رفع اركانه . فالمقابلة بين الاضداد والحدود المتغايرة من شأنها ان تظهر مشقة الجهد وبلوغ المدى البعيد .

هذه الحدود المتغايرة يؤثر بعضها في بعض . ويشير الشاعر احيانا الى هذا التأثير المتبادل الذي يدعى في الفلسفة الحديثة بالفعل الجدلي وفي العلم الحديث بالفعل ورد الفعل (أو الارتكاس) .

قال يصف جمله مبينا انه نشأ وسمن من رعيه الفيافي والفياض ثم نحل وضعف من جوبه تلك القفار والرياض فكأنما رعته بعد ما رعى نبتها :

رعته الفيافي بعد ما كان حقبة
رعاها وماء الروض ينهل ساكبه

وكذلك يصف شعلة الشيب في المفارق . الهموم تستثيرها وهي في المقابل تستثير الهموم :

تستثير الهموم ما اكتن منها
صعدا وهي تستثير الهموما

ولا شك انه كان واعيا لفنه هذا المستند الى الحدود المتغايرة المتقابلة اذ كان يجدها في الواقع حين يصفه . يذكر في مديح له لفظ نوافر الاضداد ليصف مجد الممدوحين الغريب في فن كان حقا غريبا في عصره :

قد بثثتم غرس المودة والشحـ
ـناء في قلب كل قار وباد
أبغضوا عزكم وودوا نداكم
فقروكم من بغضة ووداد
لاعدمتم غريب مجد ربقتم
في عراه نوافر الاضداد

ونحب اخيرا ان نؤكد اعتماد ابي تمام للحدود المتناقضة حتى في اغرب الاحوال . فهو في موقف المديح مثلا يتصور الممدوح غريبا وهو بين عشيرته واقربيه وكثرة المحيطين به كما يتصوره ايضا وهو يفيض بالحياة ميتا . ولولا مهارة ابي تمام وحذقه لسمج ذلك سماجة كبيرة . ولكن فنه الذي نظن أننا جلونا أصوله يشفع بذلك كله :

غربته العلا على كثرة النا
س فأضحى في الاقربين جنيبا
فليطل عمره فلو مات في مر
و مقيما بها لمات غريبا

ولا غرو ان يعتمد شاعر فيلسوف مثل الطائي هذا النهج الشعري الفكري القائم على صراع الحدود في ذلك العصر الذي اشتد فيه التمايز بين طبقات الشعب وفئاته على خلاف ما كان الامر عليه في فجر الاسلام وريقه من تضامن عميق بين الناس . فلقد تكونت في العصر العباسي طبقات اجتماعية مستندة الى فروق اقتصادية بارزة بعضها متمول مترف مجدود وبعضها فقير مكدود مجهود . ولا ننس أننا هنا من زمن ابي تمام في عصر تبدأ فيه فتن وثورات متعددة .

كذلك تكونت طبقات عرقية كانت تتنافس ظاهرا وباطنا على الحكم . واهمها الفرس الذين كانت تتألف منهم غالبية موظفي الادارة والدواوين وكانوا يدخلون على الدولة عاداتهم وازياءهم وآيينهم القديمة التي ورثوها عن اجدادهم . وكانوا ينتحلون التشيع كانما يريدون ان يدلوا على الخلفاء العباسيين ويشيروا من طرف خفي الى اغتصابهم حق الخلافة وينالوا لقاء سكوتهم درجات اعلى في الدولة .

وقد بدأت تتوطد في زمن المعتصم طبقة الترك التي كانت تؤلف أغلبية الجيش وقواده . أما العرب فكان منهم بيت الخلافة والامراء والعلماء والقسم الاكبر الاعم من الشعب . واصبح الخليفة القوي بعد ذلك من يستطيع ان يحد من نفوذ الفرس المهيمنين على جهاز الادارة ومن سيطرة الترك الذي كانوا يملكون زمام الجيش .

ولم يكن بد لهذا العصر المعقد من أن تلوح صور عناصره المتشادة المتضادة المشتبكة في فن شاعر صناع ملهم عاش حياة عصره واشترك في احداثها ما امكن له الاشتراك . ولقد ادرك ابو تمام رسالة الشعر في ذلك المجتمع المعقد وفهم غايته السامية النبيلة . فالشعر ليس مجرد فن كملت عناصره واتقنت اداته وبلغ الاوج في الابداع والصناعة الفنية وانما هو وسيلة للحفز على المعالي وحث على تحقيق القيم الرفيعة وسعى لتأليف عناصر الدولة واشادة بأبطالها الذين يخدمون القضايا العربية

انه شعلة توضح سبل المكارم وطرق التقدم . وهذا يتجلى في بيت ابي تمام المشهور :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى
بغاة العلا من اين تؤتى المكارم

واذا لجأ شاعر كبير مثل ابي تمام الى المديح والى الرثاء فانما مثله مثل النحات او المصور يمثل الخصال الحميدة والمآثر الكريمة ويصور الشمائل الانسانية العالية والمناقب الرفيعة لتكون قدوة تحتذى وأسوة يؤتسى بها وسبلا تسلك . أما الاعطيات فكانت مثوبة للشعراء وتقديرا لفنهم ونوعا من الرعاية اهـم والرغبة في تفرغهم وانصرافهم الى تجويد فنهم . كان الثن بالنسبة اليهم صنو المجد والبطولة فكما ان المجد والبطولات تخترع المعالي اختراعا وتأتي بالامور الباهرة العظيمة الفريدة كذلك ينبغي ان يخترع الشاعر معانيه وصناعته ويبدع فيها ابداعا لانه لا فن الا بالطريف المبتكر .

يقول ابو تمام في ممدوحه :

غربت خلائقه فأغرب شاعر
فيه فأبدع مغرب في مغرب

ان الشعراء العرب كانوا متصلين بالواقع متقيدين به لا يتصورون في القالب قيمة من القيم الا وهي متمثلة في انسان ولذلك كانوا ينوهون بتلك القيم العالية في ممدوحيهم ومرثييهم . كانت هذه طريقتهم في الماضي ولا نستطيع ان نفهم فنهم بدون ذلك .

ولقد كانت المشاعر العربية تملأ قلب ابي تمام وهو الشاعر الطائي لا كما يدعي خصومه وبله المستشرقين فكانت تلك المشاعر تتلألأ كالنور من خلال مصوغ شعره الحالي ومؤثل بيانه العالي .

وهو لم يترك موقعة كبيرة خاضها العرب اذ ذاك الا وخاضها بلسانه وابدع فيها ما شاء له الابداع وحباها صفة الخلود الفني . لم يكن قابعا في بيته ولا منزويا في برجه ، وانما كان يطوف في البلاد العربية بالفنا الى الثغور البعيدة والخطوط الامامية متحسسا رحى الميدان متسمعا الهام الواقع متلمسا اصيل البيان .

بقي شعره في عمورية أخلد من عمورية نفسها على أهمية هذه المعركة القومية التي كما جاء في قوله عن الروم :

أبقت بني الاصفر المصفر كاسمهم
صفر الوجوه وجلت اوجه العرب

ولقد مدح الافشين القائد الكبير التركي النسب الفارسي اللقب حين خدم الدولة والعرب . ولما ظهرت خيانته وقتله الخليفة واحرقه نهد ابو تمام فدعم اتجاه الخليفة واحرق الافشين بنار شعره وادخله نار الجحيم قبل يوم الجحيم :

صلى لها حيا وكان وقودها
ميتا ويدخلها مع الفجار

ونجد من ثنايا اشعاره كلها تلك العاطفة العربية العميقة التي تنوه دائما بجمع قبائل العرب وتنبههم على مكايد الاقوام الاخرى ممن لم يبلغ الايمان الى قلوبهم . فهو يمدح حفص بن عمر الازدي الذي كان وجيها من وجهاء العرب في بعض الثغور المتطرفة ويذكر ما لحفص هذا من فضل في جمع القحطانيين والعدنانيين وتوكيد وحدتهم :

وانت وقد مجت خراسان داءها
وقد نغلت اطرافها نغل الجلد

واوباشها خزر الى العرب الاولى
لكيما يكون الحر من خول العبد

ليالي بات العز في غير أهله
وعظم وغد القوم في الزمن الوغد

وما قصدوا اذ يسحبون على المنى
برودهم الا الى وارث البرد

وراموا دم الاسلام لا من جهالة
ولا خطأ بل حاولوه على عمد

فمجوا به سما وصابا ولو نأت
سيوفك عنهم كان احلى من الشهد

ضممت الى قحطان عدنان كلها
ولم يجدوا اذ ذاك من ذاك من بد

فأضحت بك الاحياء أجمع ألفة
كما أحكمت في النظم واسطة العقد

وكذلك كانت الغاية من الرثاء التنويه بالمجد والبطولة والقيم الرفيعة . وقد برز ابو تمام في مناوحه كما برز في مدائحه . وحسبنا ان نشير ولو قليلا الى مرثيته في محمد بن حميد الطوسي .

فقد ارسل الخليفة هذا القائد العربي لمحاربة بابك الخرمي الذي ثار في الجبال على الدولة العربية في حدود جمهورية اذربيجان الحالية . فلما بلغ منطقة بابك الجبلية قريبا من

عليهم من الجبل وقد كمن الرجال تحت كل صخرة . فلما صعد اصحاب القائد العربي في الجبل مقدار ثلاثة فراسخ لاجتياح معاقل العصاة خرج عليهم الكمناء . وانحدر بابك اليهم فيمن معه وانهزم الناس فأمرهم محمد بن حميد بالصبر فلم يفعلوا ومروا على وجوههم والقتل يأخذهم ».

ويذكر التاريخ ان القائد العربي صبر مكانه وفر من كان معه غير رجل واحد ، ورأى جماعة وقتالا فقصدهم فرأى الخرمية يقاتلون طائفة من اصحابه فحين رآه الخرمية قصدوه لما رأوا من حسن هيئته فقاتلهم وقاتلوه وضربوا فرسه بمزراق فسقط الى الارض وأكبوا على محمد بن حميد فقتلوه . ولما وصل خبر هذه الهزيمة الى بغداد والى المأمون عظم ذلك عنده جدا .

هنا تأتي رسالة الشعر لبعث الهمم من جديد ، لقد هز مقتل ذلك البطل العربي نفس ابي تمام هزا عنيفا ، فهاهو ذا يغمس طرف ردائه في مداد ثم يضرب به كتفيه وصدره الزاما لنفسه تأبين الشهيد وتخليد اسمه أخرى الدهر ولكي يرى النـاس ان الابطال اذا استشهدوا في المواقع فهم احياء عند الله مخلدون في الفن . وهاهو ذا ينشد مرثية من أجمل مراثي الشعر قاطبـة :

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر
وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

يقول فيها :

فتى كلما فاضت عيون قبيلة
دما ضحكت عنه الاحاديث والذكر

فتى دهره شطران فيما ينوبه
ففي بأسه شطر وفي جوده شطر

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة
تقوم مقام النصر ان فاته النصر

وما مات حتى مات مضرب سيفه
من الضرب واعتلت عليه القنا السمر

وقد كان فوت الموت سهلا فرده
اليه الحفاظ المر والخلق الوعر

ونفس تعاف العار حتى كأنه
هو الكفر يوم الروع او دونه الكفر

فأثبت في مستنقع الموت رجله
وقال لها من تحت اخمصك الحشر

يصف الشاعر باشارات خاطفة ومجازات معبرة كيف استشهد المرثي ، وسرعان مايبدل ببراعته الفنيـة ثيابه الملطخة بالدم الاحمر ويكسوه حللا سنية من السندس الاخضر :

تردى ثياب الموت حمرا فما دجا
لها الليل الا وهي من سندس خضر

هذه القصيدة كان لها وقع ضخم بين الامراء والقـواد . ويؤثر القائد العربي ابو دلف العجلي هذه القصيدة على الحياة نفسها فيقول لابي تمام : « وددت والله انها لك في » فيقول ابو تمام : « بل افدي الامير بنفسي واهلي واكون المقدم قبله » فيقول ابو دلف : « لم يمت من رثي بهذا الشعر » .

ولم يلبث الامراء والقواد بعد أمد ان اعادوا الكرة على بابك وكان من ابرز هؤلاء القواد الاميران العربيان ابو دلف العجلي وابو سعيد الثغري الذي اشترك في المعركة السابقة والافشين التركي قبل خيانته . وكان النجاح الضخم في القضاء على بابك يرجع الى الخطة التي اقترحها القائد العربي ابو دلف . كما ان الـذي أسر بابك اذ هرب بعد اجتياح قلاعه أصحاب ابي سعيد الثغري . وقد ذكر ابو تمام ذلك كله في شعره .

كان ابو تمام اذن على حد تعبيرنا اليوم شاعرا ملتزما خدم المجتمع والدولة . ولكن هذا الشاعر الكبير يتجاوز الناحية الادبية الشخصية فيرى من جهة ثانيـة ان الشعراء والادباء يمتون جميعا الى اسرة واحدة هي أسرة الادب والفن والفكر ، يفرح احـدهم بالآخر فرحا جعله الشاعر مثلا سائرا : «وفرحة الاديب بالاديب» .

الادب ابوهم والآثار الفنية ابناؤهم . وهو القائل في علي بن الجهم الشاعر المشهور :

ان يكـد مطـرف الاخـاء فاننا
نغـدو ونسري في اخـاء تالـد

او يختلف مـاء الوصـال فماؤنـا
عذب تحدر من غمـام واحـد

او يفترق نسب يؤلف بيننـا
أدب أقمنـاه مقـام الوالـد

كل هذا ليس الا جانبا من شخصية ابي تمام الادبية الانسانية العالية الممتازة . يقول علي بن اسماعيـل النوبختي : « قال لي البحتري والله ياابا الحسن لو رأيت ابا تمام لرأيت أكمل النـاس عقلا وأدبا وعلمت ان أقل شيء فيه شعره » .

أما الذين لايفهمون أبا تمام ولا يفهمون الادب العربي ويتحدثون من الآداب الاجنبيـة دون ان يفهموهـا ايضا فمثلهم عندنا فـي الحمق والغبـاوة والجهل كمثل تلك المرأة التي يذكر المؤرخـون أنها خرجت تستقي ومعها اختها . وكان ابو تمام قد رجع الـى ربوع بلده وضرب خياما واظهر نعمة وأثاثا فصادفته المرأة وتأملته زمانا ثم التفتت الى صاحبتها وقالت أتدرين الرجل ؟ قالت : لا والله ! قالت : بلى والله أنا أعرفـه . قالت : ومن هو ؟ قالت : انـه والله أقيرع جاسم !

سيداتي سادتي :

هذا الشاعر العربي الطائي الشامي المصري البغدادي الخراساني الموصلي يبدو في الخلاصة اكبر مجدد في تاريخ الادب العربي . جمع ثقافة عصره وتأثر بحوادث ذلـك العصر واثر فيها وناضـل في سبيل المقاصد العربية العاليـة ورفع رسالة الشعر القوميـة والتاريخية والفنية . وقـد عمد زيادة على ذلـك الى سـلوك سبيل جديدة في البيـان والصنعة وفي توليـد الافكار عجز عنهـا من اتى بعـده . فلـم يلبث امثال البحتري والمتنبي وابن الرومي والمعري ان اتبعـوا طرائقهم الخاصة المتصلة بشخصياتهم متأثرين مـع ذلـك الى مدى بأستاذهم الكبير ابي تمام .

أما الشعراء المتأخرون قليلو المواهب فقد بهرهم بريق الصنعة الخاطف في شعر حبيب كما تبهر نيران الزينة المنطلقة ايام الاعياد ابصار الاطفـال وغفلوا عن طريقته الاصيلة فقصروا جهدهم علـى زركشة القول وتزويقه معرضين عن معين الفكر وسره المتجدد .

ابو تمام استطاع ان يروض كل شيء في شعره وان يؤلف بين الحدود المتنافرة المتضادة . جمع الى غريب الالفاظ ووحشي الكلام جديد المعاني وانسي الافكار كما جمع في القصدة نفسهـا بين الجانب السكوني حتى لتجد الشعر كالبناء هندسة وتوازنـا واعتدالا وبين الجانب الحركي حتى لتجد حركات الارض كلهـا فيـه .

لقد اتيح لهذا الشاعر ان يضم الى مهارة الصناعة واللسـان عبقرية الفكر والجنان وذلـك كله في تواضع عميق كما قـال يصف قصيدة لـه :

جاءتـك من نظم اللسـان قلادة
سمطان فيهـا اللؤلؤ المكـنون

انسية وحشـية جمعت بهـا
حركـات اهـل الارض وهي سكون

ينبوعها خضل وحلي قريضهـا
حلي الهـدي ونسجهـا موضون

أمـا المعـاني فهي ابـكار اذا
نصت ولـكن القـوافي عـون

احذاكهـا صنـع اللسان يمـده
جفر اذا نضب الكـلام معـين

ويسيء بالاحسان ظنا لا كمـن
هـو بابنـه وبشـعره مفتـون

الدكتور

عبد الكريم اليافي

خيانة زوجية

فلمية

بقلم : الدكتور محمد حاج حسين

ـ ألو .. من ؟ .

ـ أنا سامية .

ـ ومن سامية ؟

ـ أهكذا نسيتني بسرعة ؟

ـ لا أعرف واحدة اسمها سامية .

ـ ان ذاكرتك قصيرة . ألم نتقابل منذ يومين ؟ .

ـ أين ؟ .

ـ في محلات « الشعاع الاحمر » .

ـ أنت البائعة الجميلة .

ـ نعم .

ـ أهلا وسهلا . ماذا تأمرين ؟ .

ـ غدا عندي اجازة واريد ان أقابلك .

ـ ولكن لماذا ؟ .

ـ لم اسمع ابدا ان انسانا يرفض موعدا مع حسناء .

ـ صدقت .

ـ واين تريد ان نلتقي ؟ .

ـ في المكان الذي يروق لك .

ـ في كازينو النزهة . غدا الساعة التاسعة صباحا . الى اللقاء .

ـ الى اللقاء .

والقى خالد المسماع من يده وطوقت ثغره ابتسامة راضية ، وانفرجت أساريره عندما تذكر لقاءه الخاطف مع سامية منذ يومين في محلات الشعاع الاحمر عندما باعته بعض الكرافات ، فقد باسطته في الحديث وابتسمت له وابتهجت جوارحه لمرآها اللاذ فهي تفيض بالانوثة وتتألق بجمال صارخ في سمرتها الحلوة وحيويتها الرشيقة ، وعينيها السوداوين اللتين تنبضان بدعوة ساخنة .. كل شيء فيها مغر ولذيذ .. وانه ليذكر جيدا أنه قدم لها بطاقته وكان عليها عنوان هاتفه ، فاتصلت به ، وضربت له هذا الميعاد . ولكن ماذا تبغي منه ؟ .

وفي الموعد المضروب ، كان خالد جالسا في كازينو النزهة يتساءل بينه وبين نفسه : . هل تصدق سامية في وعدها ام انها أرادت العبث به ؟ .. ونظر الى ساعته . وكانت التاسعة والنصف ، فقد تأخرت اذن عن ميعادها الذي حددته بنفسها . ومعنى هذا انها تسخر منه .. والا ما معنى ان يشتري منها بعض «الكرافات» ثم تحدد له ميعادا وهي الحسناء التي يتهالك عليها الرجال لو شاءت .. وشعر بحنق على نفسه لانه غادر بيته في هذا الصباح الباكر .. ولكنه ذهل عندما رآها تتهادى على قيد خطوات منه .. ونهض يصافحها ، وقد ترقرقت على ثغره ابتسامة سعيدة . وقالت : أعتذر عن تأخري . المواصلات صعبة .

وجلست . وتأملها بشراهة .. انها فتنة تتهادى في ثوبها السماوي الجميل الذي كشف عن صدرها حتى منبت نهديها ، فبدا كصفحة من الذهب في صفائه وبريقه . وابتسمت حين راته يتأكلها بنظراته ، وقالت ضاحكة : هل اعجبتك ؟

ـ جـدا .

ـ أشكرك .

وأمسكت بيده ، وربتتها بلطف . وقالت : أنت أجمل شاب رأيتـه في حياتي .

واهتز لهذا الاطراء ، وقال : أرجوك .. لا تبالغي حتى لا يأخذني العجب في نفسي .

ـ ولكنها الحقيقة .

ـ أشكرك .

ـ وهل انا جميلة ؟ .

ـ أجمل من رأيت في حياتي .

ـ اذن اتفقنا .

ـ على ماذا ؟ .

ـ أنت تراني اجمل امـرأة ، وانا بدوري أراك اجمل شاب . ومعنى هذا ان اهواءنا متقاربة ، ونظرتنا لبعضنا واحدة .

ـ هذا صحيح ،

ـ سأحدثك بصراحة .. منذ ان وقعت عينـاي عليك وجدتني مندفعة اليك بكليتي .. ولما خلوت الى نفسي كـان طيفك الجميل يسامرني في خلواتي . وبقيت في صراع معـك يومين حتى استسلمت ..

ـ استسلمت .. كيف ؟ .

ـ أحسست انني يجب ان اكون لك بكليتي . خذني اليـك . افعـل بي ما تشاء . انا عبدة لـك ما حييت ..

ـ ما هذه العواطف يا سامية ؟ .

ـ انها عواطفي الصادقـة . عشت حياتي على الصراحـة . أنا لـك . افعل بي ما تشاء .

واطرق خالد قليلا كأنـه يفكر . وتعالت ضحكتها مرنانة ، وهتفت : هل هذا العرض بحاجة الى تفكير ؟ .

ـ أي عرض ؟ .

ـ لماذا تتغابى ؟ . انني أمنحك حياتي كلهـا .. فكيف تتردد ؟ .

ـ ولكنني ...

ـ انك أبله .. مجنون .. احسن رجال البـلد يتلهفون على نظـرة مني ، ولـكنني أضن بها عليهم . والآن .. أمنحك كل شيء .. وانت تتصنع الرفض .

ـ ولكني ..

وقاطعته : لا تحسبني مبتذلة .. سـل عني يخبروك بأنني تأبيت على أقوى الناس نفوذا ، واوفرهم مالا ، وارشقهم جمالا .. جميعهم يتمنون ان يتمسحوا بحذائي ، ولكنني صنت نفسي عنهم ..

ـ ولكن .. لماذا أنـا ؟ .

وامسكت ذقنه برفق ، فأحس بتيار من الـكهرباء يسري في دمـه ، وتمتمت : انـه الحب يا خالد .

ـ الحب ..

ـ نعم . ألا تعرفه ؟ ألم تذقه في حياتك ؟ ألـم تسمع عنـه على الاقـل ؟ .

ـ سمعت عنه .. ولكنني لم اجربه ابدا .

ـ مسكين . المهم أنني عندما رأيتك دار رأسي .. وادكت أنني يجب ان اكون لك .

ـ شكرا .

ـ آه .. لو استطعت لاعطيتك قليلا من حرارة قلبي .

ـ عندي حرارة كافية .

ـ لا أرى منها شيئا .

ـ والآن .. لنتحدث بصراحـة . مـاذا تريدين مني ؟ ..

ـ انك غبي .. حتى الآن لم تفهم .

ـ فهمت . انك تحبينني .

ـ نعم احبك .

ـ ولكنني أتساءل ما الغاية من هذا الحب ؟ .

ـ أن تكون لي بكليتك ، واكون لك بكليتي .

ـ معنى هذا انك تريدين أن أتزوجك .

وبهت لونها ، وزوت ما بين عينيها ، وصرخت : ابدا . لم تخطر في بالي هذه الفكرة .

ـ حبك لي أفلاطوني ؟ .

ـ ابدا .

ـ اذن لماذا لا تفكرين بالزواج بي ؟

ـ لاني تزوجت ، وعشت مع زوجي ثلاثة اشهر ذقت في خلالها العلقم ، واقسمت ألا أتزوج ما حييت . واعتزمت ان اعيش حرة افرغ للحب مع الرجل الذي يستطيع ان يغزو مشاعري ، ويحرك جسدي ، ويلهبني بنظراته النفاذة .. وقد كنت انت ذلك المحظوظ .

ـ أفهم من هذا انك تريدين ان تكوني خليلتي .

ـ افهم الذي تريده . سأمنحك كل شيء .

ـ حتى اذا مللتيني تركتيني .

ـ لماذا نتحدث عن المستقبل المجهول ؟ .

ـ انا فقير ولا استطيع الانفاق عليك

ـ لن أكلفك قرشا واحدا لانني ميسورة والحمدلله

ـ اذن تعطيني كل شيء في مقابل لا شيء .

ـ في مقابل حبك لي .

ـ واذا رفضت ؟ .

ـ تكون مجنونا .

وأمضيا يومهما معا في توافق أخاذ ، وانسجام جميل ، وتغديا في الكازينو . واراد خالد دفع احساب فتأبت عليه . ولكنه اصر على دفعه ، لان في هذا امتهانا لكرامته ، ووافقت اخيرا بعد اخذ ورد ، على ان لا يعود اليه مرة اخرى .. وتفاهما على ان يدفع كل منهما حسابه . ودخلا السينما في حفلة الساعة الثالثة ولما أطفئت الانوار كانت يده مشتبكة بيدها ، وسرت في عروقه نشوة قريرة ، واستمرأ هذه اللذة التي انحدرت عذبة في روحه . واستطاع ان يضمها الى صدره ، ويختلس قبلة من ثغرها القرمزي .. ولما خرجا من السينما اصرت عليه ان يتناولا العشاء معا ، ودفعت الحساب ، ثم طلبت اليه ان يذهبا مرة اخرى الى السينما . وقال لها : ولكن .. اذا تأخرت .. ماذا يقول أهلك ؟ .

ـ ليس لي أهل .

ـ كيف ؟ مقطوعة من شجرة .

ـ لي أم عجوز .

ـ ألا تقول لك شيئا ؟

ـ انها تريد سعادتي . وأنا اليوم في اجازة .

واعتذر عن الذهاب الى السينما ، واعطته عنوان بيتها ، وافهمته بجلاء ان امها لاتبغي سوى سعادتها ، واخبرته انها عجوز مشلولة ، ودائما منزوية في حجرتها .. وهناك في بيتها سيجدان الراحة والمتعة بدون رقيب او عزول . وودعته بعد ان اخذت منه المواعيد ان يوافيها الى هذا الوكر الجميل في مساء غد الساعة التاسعة .. بعد ان تكون قد انصرفت من عملها ، ولم تنس ان تقول له : لا تتعش لانني سأعد لك أمتع عشاء .

وطوقها بذراعيه ، وشدها الى صدره ، وتلمس شفتيها الورديتين ، ولكنها بعد قليل انفلتت منه ، واسرعت الخطى ، فلم يطق ان يراها تغيب عنه ، فزعق : سامية .. سامية . لا تذهبي سامية لا تذهبي .

واذا بيدين رحيمتين تهزانه برفق ، ففتح عينيه ، وفركهما بشدة ، وتقلب في سريره ، ورفع رأسه مثقلا ، وتبين زوجه تحنو عليه ، فهلع قلبه ، وحاول ان يقفل عينيه ثانية ، ويعود الى نومه .. بيد انها هزته بعنف .. وقالت : من هي سامية التي تناديها ؟ .

ـ لم اناد احدا .

ـ لست صماء .. سمعتك بجلاء تناديها .

ـ انت واهمة ياهدى .

ـ قل لي من هي سامية ؟ أهي عشيقتك ؟

ـ اقسم لك انني لا اعرف واحدة اسمها سامية .

ـ آه .. الآن عرفت . أليست سامية هذه البائعة الجميلة التي اظهرت اعجابك بجمالها ؟ .

ـ كوني عاقلة يا امرأة .. ماذا يعني اذا اظهرت اعجابي ببائعة ؟ .

ـ معنى هذا انك تحبها .

ـ الحب لا يتأتى في دقائق ..

ـ ولكنك كنت تناديها في منامك .

ـ انت واهمة يا حبيبتي .

ورنت كفها على خده في صفعات متتاليات ، وصرخت :

حتى في الحلم تخونني .

وسحب اللحاف ، وغطى وجهه ، وراح في نوم عميق ...

محمد حاج حسين

حامد

مينيي

النابغه التركي في الخط العربي

شعر : أمين نخلة



باحلى خطوط الوشي ماخط ((حامد)) .
وتفديـــه أم للربيـــع ، ووالـــد .

أحـــاول بالتشبيه وصف سطوره ،
وان أعجز التشبيه مـا أنا ناشد :

فكالجيش ، هـذا صفـــه غير ملتو ،
وكالغيد ، هـذا سربـه المتوارد .

لعمرك : ليس اثنـان في العصر ، انمـا
أخو عبقريات المراقم واحـد !

اذا خط شعرا ، جود الشعر خطه ،
كأن عليه أن تجود القصائد . . .

ومـا ذاك صوغ اللفظ ، لكـن روعة
لهـا من مصوغ الخط لمح يشاهد !

أ ((حامد)) : تلك الضاد ، هـل كحروفها
حـلا لعيـون اثمـد ، ومراود ؟ !

فسل قومـك الترك ، الذين تغيروا
عن الضاد ، هـل قد ادرك الفقد فاقد !

هو الحلي جنب الحلي دون سطورها .
فيا أحرف اللاتين : أين القـلائد ؟ . .

اذا ((ألفات)) الضاد لاحت قدودها ،
بدا في قدود الغيد قال ، وحاسـد

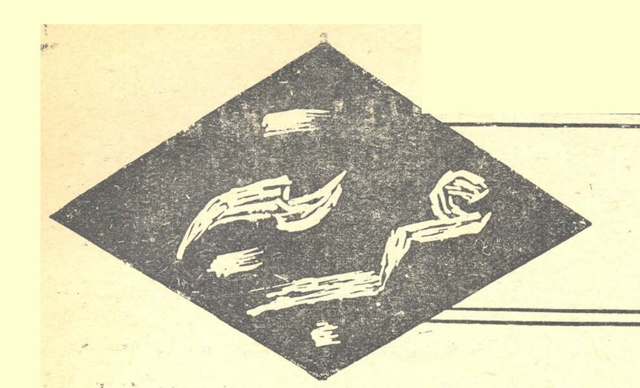
وفي نقـط ((الثاآت)) غمز محبب ،
وفي ((العين)) غنج ، فهي غيداء ، ناهد .

ولله كـم في ((السين)) روح لمقلة
لهـا مـن تعاريج ، هنـاك ، وسائد .

* * *

لخطك بـات الحبر كالتبر غاليـا ،
وأطنب دلال ، وفصل شاهـد .

وفي السبج اللماح قـام معبر
يقول : ألا أين الحلى ، والفرائد ! .



مناقشات

مشكلة الثقافة العربيه في الجزائر

بقلم : يحيى أبو عزيز الجزائري

الوضع الحقيقي للثقافة العربية في الجزائر كشأنه في بقية البلاد العربية الاخرى ، مر بأطوار واجتاز مراحل كان لكثير منها آثار بينة في سير الثقافة وتطورها . وكان لكثير منها آثار سيئة وقفت عائقا دون تقدم هذه الثقافة ونهوضها .

وغير خفي ان للثقافة العربية في الوطن العربي شقت طريقهاالى شعوب العالم في وقت كان فيه الجدب الروحي .. والانتكاس الاخلاقي .. والضلالةالوثنية .. سائدة في أمم العالم .. فأنارت السبل وأحيت موات المعرفة .. وأتاحت لروادها والمتزيدين منها في كل من جامعات : بغداد ،والقاهرة ، والقيروان،وتلمسان وبجاية ، وصقلية ، وفاس ، وقرطبة ، واشبيليا ، وغيرها ... أتاحت لهم ان يرسموا الخطوط العريضة لبناء صرح الثقافة العالمية على أسس صحيحة،وبطريقة خلاقة بناءة .

ومنذ البداية وضعوا لكل فروع العلم أصوله وقواعده .. وكانوا أول من مهد لانتشار المعرفة في أرجاء العالم وخاصة القارة الاوروبية . ومن هنا كان مفكرو العرب أساتذة العالم كله .. وكان فضلهم على الحضارة الاوروبية بالذات أمرا لاجدال فيه حتى المكابرون سلموا به ولم ينكروه .

ونحن في غنى مثلا عن ذكر عصر المأمون والرشيد الذي كانت فيه بيت الحكمة في بغداد محط روادالعلم من كل شعوب العالم .. كما نحن في غنى عن سرد اسماء المفكرين العرب واعلام الثقافة العربية الاسلامية امثال : الفارابي ، والرازي ، وابن سينا ، والكندي ، وابن الهيثم ، وابن رشد ، وجابر بن حيان ، وغيرهم ممن اشتغل في علوم : الفلسفة والحساب ، والهندسة والفلك ، والميكانيكا ، والطب ، والجراحة ، والجغرافيا والجبر ، وعلم المثلثات ، وما الى ذلك ... نحن في غنى عن ذكر هذا لانه قضية مسلمة لدى الجميع .

أما وضع الثقافةالعربية فيالجزائر اليوم فموضوع شائك جدا بسبب اكثر من عامل اهمها : السياسة الاستعمارية الرعناء .. سياسة عنصرية(الثقافة) التي سلكها ويسلكها الاستعمار الفرنسي في الجزائر . وعموما فان هذا الوضع الثقافي بالجزائر مر بأطوار ومراحل ثلاثة :

١ ــ عصر ما قبل الاحتلال حتى عام ١٨٤٧ م

٢ ــ عصر الاحتلال حتى عام ١٩٥٤

٣ ــ عصر الثورة الكبرى في عام ١٩٥٤ حتى الساعة الحاضرة .

أ ــ في عصر الاستقلال كانت الجزائر العربية تتمتع بحريتها وبدير شئونها أبناؤها الاحرار وكان هناك في البلاد نوعان من الثقافة .

١ ــ ثقافة شعبية حرة قوامها الزوايا والمساجد والكتاتيب التي كانت تتولى تحفيظ القرآن اساسا وتنظيم المحاضرات للنشيء في النحو ، والصرف ، والبلاغة ، والفقه ، وعلم الكلام ، والمنطق ، وغيرها من العلوم النظرية . وهذه الثقافة كانت سائدة في البلاد كلها دون استثناء .

٢ ــ أما النوع الثاني فهو ما يدعى «ثقافة فنية» تشرف عليها الحكومة وتدير شئونها بواسطة جهاز وزارة المعارف .. وكان في البلاد معاهد عليا وثانوية وابتدائية يتخرج منها الفنيون لادارة المصانع والورش

والمعاهد الفنية العليا . ولقد كان بمدينة تلمسان وحدها خمسون مدرسة ابتدائية ومعهد عالي وآخر ثانوي . ومثل تلمسان مدن : بجاية ، والمدية ، وقسنطينة ، ووهران ، ومازونة ، ومعسكر ، وغيرها . وكانت هناك مصانع للسلاح في تاكدمت تيارت وتلمسان ومعسكر .. وورش للتجارة .. ومعامل للنسيج ودباغة الجلود .. ومناجم لاستخراج المعادن .

وبالطبع لم تكن هذه النهضة الفكرية والصناعية دون أن يكون هناك نهضة ثقافية عالية .. ورجال علم أكفاء . ويكفى ذكر أن ٣٠٠٠ آلاف مدرسة وزيادة كانت تشرف عليها الحكومة .. وأن نسبة المثقفين من هذا النوع ٤٠ ٪ وكان الامير عبد القادر الجزائرى ممن أدرك ما للثقافة من أهمية في سرعة تطور البلاد ونهضتها فبذل جهودا واسعة لنشرها وتعميمها .. وأنشأ وزارة للمعارف قامت بجهود مضنية في سبيل ذلك فرسمت الخطط وأنشأت المدارس . وأوجدت المدرسين .. وأحدثت شهائد ورصدت جوائز للمتفوقين فاشتد الاقبال على التعليم حتى بلغ عدد طلبة الثانوي اكثر من ١٨ ألفا .. وطلبة الابتدائي أكثر من ١٥٠ ألفا كانت وسائل التعليم مكفولة لهم مما جعل أحد الكتاب الفرنسيين يقول : ان التعليم الثانوي والعالي في عصر الامير عبد القادر أرقى مما هو عليه الان في عصر الاحتلال ..

ب ـ أما في عهد الاحتلال فان الوضع تبدل تماما ذلك ان الاستعمار عموما له مبدأ عام أساسي يسير عليه ليضمن البقاء اطول في الاوطان التى يعتدى على سيادتها واستقلالها هذا المبدأ هو اتباع سياسة التفقير والتجهيل . والاستعمار الفرنسي اتبع نفس هذه السياسة في الجزائر العربية فسلب الشعب كل ما يملك من اراضي واموال بواسطة قوانين الغاب ، وشريعة النصب والاحتيال واللصوصية .. ثم تركه شبه لاجيء في وطنه .. وبالطبع فان العامل المادي الاقتصادي له اثره في مجرى الحياة ، عليه ترسو قواعد النظم الاخرى .. ومنها الثقافة عندما يتوفر . فالفرد ومثله المجموع بدل ان يبحث عن وسائل التثقيف والمعرفة يبحث اولا عما يسد الرمق ويحفظ الكرامة ..

وهذا من شأنه الاعراض عن « الوجهة الثقافية » ولو الى حين وهو مايريده الاستعمار أساسا . وشيء آخر هو ان الاستعمار وضع يده من اول يوم على كل معالم الثقافة من معاهد ومدارس ومنها المساجد ثم حول معظمها الى كنائس وثكنات . وحتى الذي أبقى عليه أوكل أمره الى أناس انتهازيين كل همهم ارضاء « أسيادهم » المستعمرين فقط .. ونتج عن ذلك أن « تضائل عدد المكاتب التي كان يقصدها التلاميذ طلبا للعلم » وتضاءل تبعا لذلك عدد التلاميذ فأصبح ٣٠ ألفا بدلا من ١٥٠ الفا كانت وسائل التعليم مكفولة لهم قبل عهد الاحتلال .. والقصة نبدأها كذا

في ٢٤ ديسمبر عام ١٩٥٤ أصدر الحاكم العام الاداري الفرنسي بالجزائر قرارا ينص بأن لايجوز لكل معلم مسلم جزائري أن يفتح أو يتولى ادارة مكتب لتعليم اللغة العربية الا بترخيص من عامل المنطقة أو قائد الفيلق العسكري بها .. ومن يخالف ذلك يعتبر مسئولا أمام القانون ـ أي قانون هذا ـ ... ويعاقب بالغرامة او بالحبس أو بهما معا ..

وفي يوم ٢١ مارس سنة ١٩٠٨ اصدر مؤتمر المزارعين الاستعماريين مايلي : « من حيث أن تعلم السكان الوطنيين يعتبره أعضاء المؤتمر خطرا حقيقيا يتعرضون له من الناحية الاقتصادية .. ومن ناحية توطين الفرنسيين بالجزائر ... فانهم لذلك يطالبون السلطات المسئولة بالغاء التعليم الابتدائي بالنسبة الى هؤلاء السكان المسلمين الجزائريين » وبالطبع فان الغاء التعليم الابتدائي معناه الغاء التعليم في جميع مراحله ..

وفي ٨ مارس سنة ١٩٣٨ أصدر وزير المعارف الفرنسي « شوتان » بوحي من الاستعماريين قرارا يقضي بجعل اللغة العربية اجنبية في الجزائر ... وينص على ان محاولة تعلمها يعتبر من مظاهر العداء للسلطات الفرنسية سوف يستهدف صاحبه لكل أنواع العقاب : الغرامة والسجن ، والمصادرة ، والنفي ، والتجريد من الحقوق المدنية ولم يكتف بهذا فعمد الى جرد العمال من

أجورهم لان أولادهم مانكفوا يترددون على المدارس العربيـة .

ولقد بلغ من حماقة الاستعمار وبغضه للثقافة العربية ان اصبح يعتبر وجود سبورة في منزل أسرة جزائرية جريمة ، العقاب عليها بالغرامة وبالسجن مدة كثيرا مالا تقل عن سنة . لان السبورة معناها وجود وعي وطني في الاسرة ... ثم بالتالي في مجتمع القرية والمنطقة كلها . والحديث باللغة العربية في الادارات الحكومية اهانة للفرنسيين أهون العقاب عليها طرد العامل من وظيفته . الشخص الذي يشاهد حاملا جريدة عربية أو كتابا عربيا يستهدف لمراقبة الجواسيس الذين لايعدمون وسيلة في النهاية لاقتياده الى السجن بسبب أو بآخر ليقضي فيه عاما وعامين وثلاثة . أما فتح المدارس العربية فعقابها السجن والاشغال الشاقة مدى الحياة غالبا لكبر الجريمة . الشخص الذي لايحسن الفرنسية تضيع مصالحه في الادارات وسط الاهانات والتسويف . واذا كان المفروض أن يقضي حاجته في ظرف ثلاثة دقائق فانه يظل اسبوعا ينتظر وكثيرا مايمتد الاسبوع الى أشهر وأعوام . وأما حاملو الثقافة العربية في الجزائر وما يلاقونه من صعاب فالامر أكثر من أن يصوره ويصفه القلم .

ولتصوير الحقد والكراهية التي يكنها الاستعمار الفرنسي للثقافة العربية وحامليها بالجزائر نورد ماقاله بعض الفرنسيين أنفسهم : قال أحد مفتشي التعليم ان تدريس اللغة العربية نوع من انواع الاضطهاد العنصري المقوت لانه يفرض التعريب على بلاد الجزائر .. وأصدر مفتشو التعليم الابتدائي الفرنسيين في ٥ مارس سنة ١٩٥٤ مايلي : حيث أن دستور الجزائر نص على تنظيم تعلم اللغة العربية دون ان يحدد شكل هذا التنظيم ولا مداه فان مفتشي التعليم من اول درجة يقررون :

أ ـ ان العربية العامية أهميتها لاتتعدى كونها لهجة محلية .

ب ـ والعربية الفصحى تعتبر لغة ميتة .

ج ـ والعربية الحديثة لغة أجنبية بالنسبة الى البلاد .

ولهذا لايمكنها بأي حال من الاحوال ان تكون من المواد المقررة تعليمها اجباريا بالمدارس الابتدائية ... هكذا ينظر الاستعمار الفرنسي الى لغتنا العربية التي بواسطتها تعلم هو المدنية .. هكذا يعتبرها لغة ميتة وأجنبية عن قطر عربي عزيز من أجزاء الوطن العربي .. هكذا يعتبر ان تدريس اللغة العربية في الجزائر يفرض تعريبها كأنها كانت فرنسية في الاصل .. ويعتبر تعلمها نوعا من انواع الاضطهاد العنصري . ولم يقنع بهذا فأخذ يقسمها الى فئات ومجموعات خيالية لا أصل لها في الواقع . ونسي ان فرنسا نفسها يسودها حتى اليوم اكثر من لهجة ولغة . وقد لايغني الحديث مجردا ولذلك سنعدد الحقائق بالارقام فيما يلي : ـ

في الجزائر عشرة ملايين نسمة ، نسبة التعليم فيهم ١٠ بالمائة فقط . نتيجة لذلك هناك ثلاثة ملايين طفل جزائري مشردون في الشوارع وفي مقابل ذلك يوجد ٨٠٠ الف فرنسي مستعمر يتلقى اولادهم التعليم ١٠٠ في المائة مع وفرة كل الوسائل اللازمة لهم في خلال ٧٢ عاما (١٨٦٤ـ١٩٣٦) زاد عدد المدارس من ١٨ الى ٧٣٢ مدرسة ، وزاد عدد الطلاب من ٢٧٠٠ الى ٨٠ الف طالب في المراحل الابتدائية .. نتيجة لذلك اصبح الوضع ان كل ٢٠٠ الف طالب اوروبي لهم ١٤٠٠ مدرسة واعتماد ٣٣٩ مليون فرنك .. وان كل ١٠٠٠ جزائري لهم ٦٩٩ مدرسة و ٨٨ مليون فرنك اعتمادا لها .. نسبة من يحمل ثقافة متوسطة من الجزائريين ١/٥ (خمس) السكان .. ونسبة من يحمل ثقافة عالية « واحد » من ١٨٠٠ شخصا .

في الجزائر العاصمة توجد جامعة واحدة بها خمس كليات مجموع الطلاب فيها ٥١٤٦ طالبا ، منهم ٤٥٨٩ اوروبيا و ٥٥٧ طالبا جزائريا .. أي ان هناك طالبا جامعيا واحدا اوروبيا لكل ٢٢٧ من السكان الاوربيين .. وطالبا جامعيا واحدا جزائريا لكل ١٥٣٤٢ من السكان الجزائريين . وكان المفروض ان يكون هناك ٣٣ الف

طالب جزائري على اقل تقدير في الجامعة حسب هذه النسبة . التعليم الفني يكاد يكون اغرب من الخيال . فالزراعة التي يشتغل بها ٨٠ بالمائة من الجزائريين على اقل تقدير لا تضم المدارس الزراعية منهم سوى ٧٥ طالبا من مجموع ٣٨١ طالبا .. ونسبة التعليم الفني بصفة عامة . طالب واحد لكل ١٧١ طالبا بالثانوي . ولم يكن هناك سوى ٢٠٠٠ طالبا بالمعاهد الفنية كلها . وفى عام ١٩٥٤ تقدم الى هذه المدارس الفنية ١٢٠ الف طالب على ان يقبل منهم ٣٥ الفا على الاقل ويعتمد لهم ١٧ مليار فرنكا ، ولكن لم يقبل منهم سوى عدد ضئيل جدا ولم يعتمد لهم في العام الدراسي ٥٥ – ١٩٥٦ سوى مليار و ٨٩٤ الف فرنك .

هذه صورة خاطفة وعجالة بسيطة عن وضع الثقافة العربية المؤلم فى الجزائر .. وعن موقف الاستعمار منها . ويجب الآن ان نقلب الصفحة من جانبها الآخر لنتتبع مقاومة الشعب الجزائري لهذه السياسة العنصرية الفاشلة . ان شعب الجزائر مؤمن بعروبته الاصيلة ايمانه بأن الشمس تشرق من الشرق وتغرب من الغرب . وبهذا الايمان صمم على الاحتفاظ بلغته وثقافته العربية . وقرن التصميم بالعمل .

وكان بالجزائر الى قيام الثورة هيئات واحزاب منها من لم يكن لها من عمل سوى التهويش والتضليل وخدمة ركاب الاستعمار واذنابه .. ومنها من كان لها اماني وطنية وسياسية ذات اهداف ترمي الى تحرير الشعب من السيطرة الاجنبية البغيضة فصدقت العمل وضحت في سبيل جزائر الثورة المتحررة . ومن هذه : حزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين . وعن طريق هاتين الهيئتين تابع الشعب مقاومة الاستعمار واذنابه . وقاوم الاضاليل الاستعمارية الماكرة التي يبيتها للثقافة والفكر العربي بالجزائر .

كان حزب الشعب الجزائري يحمل راية الكفاح ضد الاحتلال الفرنسي وكان له اثره الفعال في تطور الوعي الوطني بالجزائر .. فشجع الحركة العلمية بالذات .. وأسس لجنة خاصة للاشراف على سير التعليم العربي وانشاء المدارس وايجاد المعلمين في كل مكان من البلاد . ويمكن تصور مدى نجاحه اذا علمنا انه الحزب الذي كان يتمتع بأغلبية جماهيرية واعية .. والذي كان مستهدفا دائما لضربات الاستعمار وتتبعاته باعتبار انه يقود المعركة السياسية بشكل ايجابي على ان العبء الاكبر من رسالة تدعيم الثقافة العربية وحفظها من الانهيار تحملته جمعية العلماء التي أسسها الفقيد عبد الحميد بن باديس عام ١٩٣١ . لقد انشأت هذه الجمعية ما يزيد على ١٥٠ مدرسة في خلال ثلاث سنوات تضم ما يربو على ٢٥٠ الف طالب جزائري . كما انشأت معهد ابن باديس بقسنطينة طبقت فيه برامج وانظمة الجامعة الزيتونية بتونس وبالتدريج اصبح فرعا لها وكانت تعتزم فتح معهد عالي بالجزائر كنواة لانشاء جامعة الجزائر العربية لولا اندلاع الثورة واعطاء الاولوية لمعركة السلاح .

من جهود حزب الشعب وجمعية العلماء اضطر الاستعمار في ٢٠ مارس ١٩٤٧ ان يصدر قرار باعتبار اللغة العربية لغة رسمية في الجزائر في كل مراحل التعليم دون ان ينفذ من ذلك شيئا . وقد احدثت هذه الجهود ثورة علمانية في الشعب جعلته يتسابق الى انشاء المدارس الحرة وتعليم الجيل لغته الوطنية . فأثار ذلك حفيظة الاستعمار وجعل يكيد .. ويكيد .. فكم من مدرسة اغلقها وكم من معلم زج به في السجن او نفاه الى غير بلده . لقد كانت مفاجأة للاستعمار يوم ان وجد جيلا من الشباب صاعدا يتابع دراسة لغته وثقافته القومية العربية بتلهف وشغف . وكان يظن انه انساه لغته وتاريخه .

وشيء آخر كان اشد قسوة على الاستعمار هو انه بقدر ماقاوم الثقافة العربية بقدر ماشجع بصورة نسبية على مستوى محدود نشر الثقافة الفرنسية بين جموع الشباب الجزائري كمحاولة لايجاد طبقة خاصة تؤمن بفكرة « الفرنسة » الاستعمارية للجزائر . ولكن جهوده في هذا الميدان كغيره – باءت بالفشل لان الشعب وهذه الطبقة بالذات ادركت ما يراد بها ووعت اهداف الاستعمار في محاولة طمس الواقع الوطني والحضارة العربية للجزائر .

ولعل اسماء الكتاب الجزائريين اللامعين امثال : محمد ديب ، وكاتب ياسين ، ومولود معمري ، وادريس الشرابي ، ومولود فرعون ، ومالك بن نبي ، ومصطفى الاشرف ، والشريف الساحلي ، وغيرهم ممن برزوا في الثقافة الفرنسية حتى على الفرنسيين

انفسهم – لعل اسماء هؤلاء اشهر من ان تذكر .
ان هذه الشبيبة هي التي تباشر الاشراف على مصالح الثورة في فرنسا نفسها وفي بلاد اوروبا كلها وامريكا والشرق .

ج – وفي الدور الثالث ينبغي اثبات حقيقة هامة أي ان ثورة الجزائر خلاقة بناءة تباشر العمل في كل عمل يتصل بمقومات بناء امة وشعب . جيش التحرير يخوض غمار معركة السلاح التي جمدت جيش الاحتلال في ثكناته طيلة ست سنوات .. وجبهة التحرير تمارس تنفيذ رسالات اخرى سياسية وثقافية وفنية وغيرها .. وكان لجبهة الثقافة الجانب الاوفر من اهتمام الثورة الجزائرية . فكون رجالها في الداخل جهازا خاصا للاشراف على سير التعليم وخاصة في المناطق المحررة . وقد ركز الاهتمام اساسا على التعليم المهني التكنيكي لسد حاجة متطلبات الثورة ولتهيئة الاطارات للمستقبل .

على ان الصعاب المتجددة في الداخل وصرف المجهودات في مقاومة العدو الباغي جعل رجال الثورة يتجهون اتجاها آخر جديا بعيد المرمى واستفادوا من الاوضاع الشاذة التي تسود بعض اجزاء الوطن العربي التي تعتبر في حكم المحتلة بالفنيين الاجانب . فأكثروا من ايفاد بعثات علمية الى البلاد العربية واوروبا وامريكا والشرق الاقصى ليتابعوا الدراسة في كل فروع العلم استعداد لبناء جزائر الغد .

ولئن كان ما يشغل بال كل جزائري اليوم ويستنفذ كل اهتمامه هو تحقيق الاستقلال الوطني باعتباره اساسا لكل شيء .. لكن الاهتمام بالثقافة والعمل على تطويرها ونهوضها يعد ذلك ايضا من اعظم الخطوات لانها ستسد اكبر ثغرة تواجهها الجزائر في عهد استقلالها الوطني . وبذلك تكون الثورة تبني بيد وتقاوم باليد الاخرى .

والامل وطيد في أن يحقق ابناء الجزائر الشيء الكثير في هذا الميدان .. وان يسيروا الى عالم افضل في موكب الخلق والبناء .. والحضارة والابداع ..

١٩٦٠/٩/٣

يحيى ابو عزيز الجزائري : جامعة القاهرة

الثأر

قصة بقلم : ياسين رفاعية

انها الريح . ما زالت تعصف تلك الريح . منذ عشر سنوات ما زالت تعصف .. ما زالت تمزق كبريائي يوما اثر يوم . وساعة بعد ساعة . انها ريح شرسة قاسية تصفع احساسي في الاعماق وانا ادور في دوامة هائلة . انتظر هذا اليوم الذي اصبح فيه حرا طليقا .

لقد جاء ، جاء هذا اليوم ، وساعات . ارتاح . ارتاح من صورة اخي التي تلح على ذهني رغم مرور عشرة اعوام .

كنت آنذاك فتى يافعا ، أهيء نفسي لمستقبل حلو كان يمكن ان يتحقق ، كان اخي الرجل الذي انشأني بعد وفاة ابي الذي لم اتذكر ملامحه قط . ولقد أرادني ان اكون شيئا هاما في الحياة . طبيبا او محاميا . فان التجارة التي كان يزاولها عمل صعب يحتاج الى اعصاب متينة .

ولما عرفت « سلمى » السمراء الدافئة ، جئت اخي بخجل وحنين ، وحدثته عن حبي العميق لها . فربت على كتفي وقال لي بصوته الهاديء : ستكون لك يا اخي المهم ان تهيء لنفسك المستقبل الذي أحبه لك .

وفي الحديقة الواقعة في ظاهر المدينة ، ضممت يد سلمى بين يدي بحنان . كان ثمة اشجار تظللنا . وتعاهدنا على ان نكون لبعضنا . وقالت لي سلمى : سأنتظرك يا عزيزي .. وسأشعر بلذة في انتظارك .. سأنتظرك .. تأكد من ذلك ..

قبلت باطن كف سلمى بحنان ، وما ان مالت الشمس الى المغيب . حتى قالت : يجب ان اذهب ، ان اخوتي يقتلونني لو رأوني معك .. فقد تأخر الوقت .

ذهبت سلمى ، وبعد قليل ، هرولت طربا وانا اصفر لحنا جميلا الى البيت . كانت صورة «سلمى»



الحزينة السمراء ترسم لي مستقبلا جميلا حلوا فيه بيت واطفال وفيه خصامات صغيرة تنتهي دائما بقبلات ناعمة . آه .. كم كان المستقبل الذي كنت احلم به آنذاك جميلا .

وصلت البيت . وقبل ان ادخل ، لمحت سلمى تقف بالقرب من النافذة وابتساماتها العذبة ترتسم على شفتيها . كأنها تقول : كل شيء على ما يرام .

استقبلتني زوجة اخي قائلة وعلى يدها « خالد » ابنها : لقد تأخر اخوك عن ميعاده .. قلت : لا تقلقي .. لا بد ان يأتي بعد قليل .

ولم اهتم للامر ، ذهبت الى غرفتي ، وجلست أفكر في الوجه الاسمر الدافيء الذي فارقته منذ حين . وهتفت : يا لروعة سلمى .. كم سأكون سعيدا معها . وكم سننجب من الاطفال .. لا بأس سأوصيها على عشرة . سبعة صبية وثلاث فتيات .

ذلك اليوم . مرت ساعات طويلة ، قبل ان تدخل علي زوجة اخي مرة اخرى لتقول : تأخر اخوك دون سبب .. قم .. يجب ان تعرف اين هو . فقلت : دعيني الآن . واين يجب ان يكون اذا لم يكن في السينما او عند صديق آخر .

في تلك اللحظة ، قرع بابنا بشدة غريبة . واسرعت زوجة أخي .. ثم امي وجدتي بعدها بقليل . ودقائق. ترامى الى مسمعي صراخ رهيب .

قفزت من السرير . وفتحت باب الغرفة لأجد المنزل وقد امتلأ برجال الشرطة وبممرضين . وبعض الاشخاص الآخرين .

هبطت الدرج مسرعا لأجد النسوة الثلاث قد انكببن على المقعد الطويل في صدر الغرفة الوحيدة التي تتصدر صحن الدار .

أسرعت . فاذا بي امام جثة مسجاة .. يا الله .. جثة اخي .

تقدمت كمجنون منها ، ورحت أهزها صارخا : أخي .. أخي . من فعل ذلك .. قل .. أخي .
وراحت دموعي تنحدر بحرارة وانا أهز الجسد الصامد واصيح : يا الله .. أخي مقتول .. أخي مقتول ..

ورحت أهذي بأشياء لا اذكرها . لكن تلك الكلمة ما زالت معلقة بأحساسي وأنا أصرخ والريح من حولي تعول : أخي مقتول .. ؟ . !

أبعدوني عن الجثة ، وسرعان ما حضر أقاربي ووالد زوجة اخي وراحوا في نوبة من التفجع والبكاء .

وفي اليوم التالي .. علمت بأسباب الوفاة المفجعة .

أصطدم أخي برجل آخر يريد منه مبلغا من المال . عليه ثلاث رصاصات . وألقي القبض على القاتل الذي استسلم فورا .

ولم أكن ذلك الوقت واعيا لما حدث تماما،كنت أهذي وأصرخ : كيف قتلوك يا أخي .. لماذا قتلوك ؟؟

لم احتمل ابدا ذلك المنظر المخيف الذي صاب عيني . فكنت أغيب عن وعيي بين الفينة والفينة .. فلا اذكر ما كان .

وبعد ايام قليلة ، وجدت نفسي مسئولا عن عائلة ، وانا بعد في العشرين .

ونسيت كل شيء .. سوى انني اريد ان ارى الرجل الذي قتل اخي ..

أما صورة قاعة المحكمة التي حوكم فيها فما زالت ماثلة امام عيني بوضوح .. القاضي ذو الفودين الابيضين ، والمحامون ، والنائب العام ، والشرطة ، والشاب القصير المتليء القامة وهو يصرخ — محكمة — والرجل القاتل في القفص وهو خائف مضطرب . ووجهه الاصفر الباهت يتلفت بذعر يمنة ويسرة وما ان تلتقي عيناي بعينيه حتى يبدو وجهه مغرقا في رعب هائل .. وكنت بالفعل ارمقه بنظرات قاسية كلما التفت نحوي .

وفي الطرف الآخر . كانت تجلس امرأة متشحة بملاءة سوداء . وعيناها تسحان بالدموع بينما كانت تسند الى كتفها طفلا صغيرا اشقر تقارب سنه سن خالد ابن اخي .

وتبين من خلال المحاكمة : ان أخي قسا على الرجل بشكل مهين ، فقد كان الشهود جميعهم الى جانب الرجل الخائف الذي كان يتمسك بقضبان القفص وعيناه مصلوبتان الى افواه الشهود الذين أكدوا ان أخي كان شرسا وقاسيا .

وبعد ايام صدر الحكم عليه بالسجن مع الاشغال الشاقة عشر سنوات .

وصرخت في قاعة المحكمة : هذا ليس عدلا .. يجب ان تبشروا القاتل بالقتل .. انكم لستم عادلين . ولكن شرطيا وضع يده على فمي واخرجني من القاعة .

ومن يومها بدأ حقدي ينمو في أعماقي . ورحت احاول اعادة محاكمته لكن المحامين كانوا يقنعونني بأنني لن استطيع ذلك .. فالحكم قد صدر بناء على اقوال الشهود الذين اكدوا ان اخي كان مغاليا في القسوة على الرجل .

كنت اعرف اخي جيدا ، فلم اصدق هذه الاقوال. لابد ان احدا قد لقن اولئك الشهود لينطقوا بما نطقوا .. فقررت ان احاكم الرجل بنفسي في يوم ما .

وها هو اليوم قد جاء الآن . وما زالت صورة اخي تلح على ذاكرتي بعنف وضراوة . كان يريدني طبيبا او محاميا . وكانت لي جارتي السمراء «سلمى» وكنت سأطالبها بعشرة اطفال . سبعة صبية وثلاث بنات . وكانت ستلبي رغبتي فانها تحبني حبا عميقا. كان بالامكان ان تتحقق كل هذه الاحلام . لو لم يصوب ذلك المجرم ثلاث رصاصات الى صدر اخي .

ان صورته وهو مسجى مطبق العينين والشفتين، وحوله امي وجدتي وزوجته قد انكببن عليه ينتحبن بصوت عال .. كانت تلح علي كل يوم منذ عشرة اعوام ..

لم استطع ان افعل شيئا لسلمى . حتى ان الحقد الذي ترسب في اعماقي أنساني ابتسامتها الدافئة وحنو يدها الصغيرة ، وكل مافعلته سلمى ان تزوجت ضابطا شابا انجبت منه حتى الآن ثلاثة صبية .

ومنذ اسبوع خرج قاتل أخي من السجن . ومنذ اسبوع لم يغمض لي جفن . وراحت صورة اخي تلح علي بشكل عنيف ، وكان خياله يقول لي : أنت لم ترض بالحكم يا اخي . انك انتظرت عشرة اعوام كي تحكم انت في مقتلي . عشرة اعوام طويلة هيئت نفسك لكي تحاكمه من جديد . عشرة اعوام .. عشرة اعوام ... عشرة اعوام .

كنت اقفز من السرير مذعورا ، واشعل الضوء الكهربائي الذي كان يهتز امام عيني صارخا : أحكم .. احكم انت .. لقد انتظرت عشرة اعوام لتحكم بالعدل .. عشرة اعوام .

مر هذا الاسبوع وانا على هذه الحال . لم انم . ولم اهدأ . بل انني نسيت كل شيء الا أخي والرجل الذي قتله . كان اخي يطالبني في كل لحظة : ما ذا ستفعل .. كيف ستحكم . لقد انتظرت عشرة اعوام لتحكم .. اثأر لاخيك .. انني ما زلت انتظر ان لا يذهب دمي هدرا . اقتله يا اخي . اقتله .. اقتله .

و .. قررت ان اقتله . اجل يا اخي .. سأقتله.

اذ ذاك .. بدت صورة اخي تبتسم برضى واطمئنان.

وها أنا اليوم قد حصلت على مسدس فيه تسع رصاصات لا ثلاث « أجل .. سأثقب جسده تسعه ثقوب .. يا اخي .. »

انتظرت الليل ليرخي بساطه . فقد استدللت على بيت الرجل الذي عاد الى اهله . الى زوجته وابنه الذي لم يحرم منه .

خالد ، ابن اخي أصبح يتيما . كم كان الحقد يقتات اعصابي عندما كنت ألمح في عينيه ذل اليتم لما كانت أمه ترسله ليزورنا بعد ان تزوجت رجلا آخر ...

كان يسألني بسذاجة : لم لا تزورنا يا عم ؟ لماذا انت عمي .. واصدقائي لهم آباء .. احمد .. يأتي ابوه كل يوم . ويأخذه من المدرسة .. لماذا ليس لي أب يا عمي .. لماذا .. ؟ ..

وكنت اقول له : سيأتي يوم . وتعرف طفلا آخر . لن يجد له أبا .. سيمزقون صدره بالرصاص .. كما مزقوا صدر أبيك يا ابن اخي .

كانت كلمات خالد تجرح كبريائي . فقد كانت عيناه تبدوان لي وكأنهما عينا اخي اللتان تشيران لي بالاتهام لانني أقف مكتوف اليدين .

غدا .. او بعد غد . سألمح في عينيه الرضـا والاطمئنان : ان طفلا آخر . قد اصبح مثله .. بـلا أب ...

واخيرا .. خرجت من المنزل قاصدا بيت الرجل، بعد ان اطمأننت الى المسدس بطلقاته التسع ، وكنت كلما اقتربت خطوة يزداد وجيب قلبي .. والريح ما تزال تعصف .. ما تزال منذ عشرة اعوام تعصف .

ولما امتدت يدي اليسرى الى الباب لتدقه . كانت يدي اليمنى قابضة على المسدس باصرار وعنف واصبعي على الزنـاد .

سيفتح الباب الآن . سأقول له من أنـا . ولماذا اريد قتله . ثم أصوب المسدس مباشرة الى صـدره . واضغط على الزنـاد .. اذ ذاك .. سيزول ذل اليتم من عيني خالد .. سيفتحه الآن . لا بد ان يفتح هو . استعد .. استعد .. استعد .

وفتح البـاب . وبدا لي طفل اشقر على ضـوء مصباح الزقاق باهت النظرات يقارب الثانية عشرة من عمره وهو يتثاءب ببراءة وقال : نعم .. ! قلت لـه بصوت غليظ النبرة : اين ابوك .. ؟ قال وقد تبدلت ملامح وجهه : أبي..انه..نائم..لقد جاء تعبا جدا هذا اليوم .. فنـام باكرا .. قلت لـه : ايقظه .. وقل له انني اريده لامر ضروري .

فهرول الطفل يقرع البلاط بحذائه الخشبي .. كنت ما ازال مضطربا .. عندما عاد الطفل بعد لحظات يتقدم اباه.

وقال لي الرجل بصوت واهن وهو يفرك عينيـه : نعم .. ما ذا تريد .. ؟ قلت له : لاشيء .. سـوى انني احب ان أذكرك من أنـا .. فقال بنفس الصوت الضعيف : من تكون .. ؟ قلت له بصوت قاس وشرس: انني شقيق من ثقبت صدره منذ عشر سنوات .

وهنا اضطرب الرجل . وبدا الرعب على وجهـه مخيفا عندما لمح يدي ترتفـع الى صدره وفيها مسدس ضخم . وصرخ : لا .. لا تقتلني أرجوك .. دعـني لطفلـي ..

كان الطفل قد لمح خوف ابيه فالتصق به وعانق قدميـه وراح يصرخ : بابا .. بابا .. بابا . وكـان الرجل يهتـف بنفس الوقت : لا تفعـل .. ارجوك يا سـيدي لا تفعل .. لم يبق لي سوى خطوات .. لقد كبرت يا سيدي .. دعني اعيش لطفلي .. لاجله دعني .. انظر .. انظر اليـه . انـه بريء . انظر يا سيدي .. انظر ارجوك .. انظر .. الا ترى شعره الاشقر الناعم .

وهبطت عيناي دون ارادتي الى الطفل الصغير وهـو متمسك بقدمي ابيـه يصرخ : بابا .. بابا .. كانت عيناه ممتلئتين بالدموع . كان خائفا .. خائفـا . وفجأة تخيلته خالد .. كان خالد يهتف بي : لاجلي لا تفعـل يا عمي .. لا تحرمه ابـاه .. دعـه لـه .. هل تريد ان يتألم كما أتألم .. دعـه يا عمي .. دعـه .

وفجأة هبطت يدي الى جانبي كأنها شـلت . كان الرجل قد انحدرت دموعـه ايضا .. بينما التفت الطفل نحوي ورمقني بحنان آسر . وسرعان ما حملته الى صدري ومسحت دموعـه .. ثم تركته وهرولت خارج الزقـاق ..

لما ضمني زقاق آخر لوحدي . لمحت صورة اخي ترافق ظلي . كانت تربت على ظهري وهي تقول : لقد كنت عادلا .. لقد كنت عادلا .

وغابت عني صورة اخي .. لتبرز صورة سلمى .. سمرائي الدافئة ، فهتفت لها وعيناي دامعتـان : كم أحبتك .. يا سلمى .. كم أحبتك .. ؟

دمشق — ياسين رفاعيـة



شعر : نديم محمّد

أما أنا فهواي مجروح وتغريدي حزين
جاهدت ، لي حزم ، ولي عزم ، ولي شرف ودين
ضحيت بالاغلى : شبابي ، والكريم به ، ضنين
ونذرت وجهي للعروبة نذر واف لا يخون
أنا من صميم الريف ، قلب فوق ما وصفوا ، أمين
أنضبت غدراني لتظمئني لقطرتها الغصون
اطفأت أنواري لتغرقني بعتمتها الدجون
أخصيت أفراسي لتقعدني عن السير الحزون
هدمت أسواري لتحبسني الصوامع والوكون
قطعت أدواحي لتهزمني العواصف و ... الشجون
أعطيت ما ملكت يدي وحدي أعين ولا معين
حصلت ماذا ؟ الفقر فن العار والدنيا فنون
ولقيت ماذا ؟ الجهل والانكار : ما أنا ؟ ما أكون ؟
ولقيت عطفا ، شر ما عرفته في الدهر القرون
عطفا قبيح الوجه تغمض من قباحته الجفون

* * *

أما أنا فجراح أعماقي تضج ولا سميع
كم ذقت ، أوجاعي وآلامي تغص بها الضلوع
أنكرت نفسي ، والاعز أنا ، أراع ولا أروع
حبي ، صليب القتل ، تاج الشوك ، أورثه يسوع
ما خنت ... قلب النور ظني ، زينتي أدب رفيع
أخلصت .. والنيران يمضغ حرها جرحي الوجيع
صدري حطامة زورق همدت حواليه القلوع
داء على داء ، زحام الوحش لاح لها صريع
انا خربة ، يحنو على انقاضها ركن صديع
أنا عمر عوسجة يمر بها فينكرها الربيع
وخواء سنبلة يقلبها بكفيه طموع ...
مالي خسرت ، هجرت أهلي جعت جعت وكم أجوع
وبكيت ثم بكيت حتى أغرقت عمري الدموع
وصبرت ، لا حرج ولا شكوى اذا ضاق الوسيع
ماذ جنيت ؟ هوان يومي . هان والله القنوع
لا نطفة رفت على كأسي ولا ريح يضوع
لا جانب لين ، ولا نظر يؤانسني وديع
أفمي ولا ضرع ؟ وأشداق تغذيها ضروع ؟
أيداي قحط ؟ والمخالب روضة وجنى ينيع ؟
أيذلني كبري ؟ نعم ! ويعز من شاء الخنوع
نسي الجميع مواردي ومصادري . نسي الجميع
نزلت جريمتهم على كهف وأطفئت الشموع

* * *

أخطأت سر العيش في الدنيا فأخطأني الرغيف
وتهامست عني الشفاه تقول : ريفي سخيف
يتساءلون : أيكسر الالباب في أشداقها الحس الرهيف

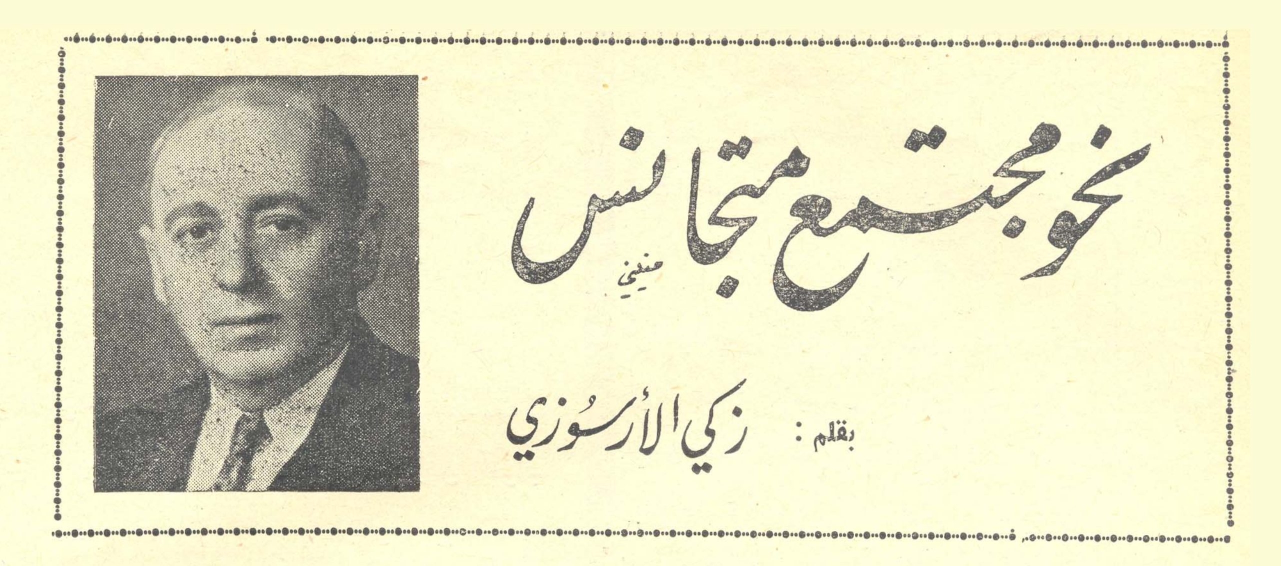
أيصارع الاوحال في حفراتها الثوب النظيف
أيعاف ماء النهر ظمآن ويستقوي ضعيف
ذنبي – وما ذنبي – وعاري عندهم خلق عفيف
ما كان لي زهو الشموخ . بلى ! وان رغمت أنوف
لا يشتهي ذل الضماد وقبحه جرحي الرعيف

* * *

يا أسمر الاهرام ، يا ملك الجوارح ، يا عقاب
نزلت على الدوح البغاث وحل في الروض الغراب
وهناك أسراب الحمائم لفها قفر يباب
وعلى هوان الشوك أجنحة الصقور لها انسحاب
يا للصقور يعضها شوك ويعفرها تراب
ما راعها زخم الرياح ولم يلوعها السراب
لكنها أفعى تقطر سمها في الجرح ناب
لله ملحمة العظام فكم تهون بها الصعاب
يا سرها وحلاوة يشهى لمطعمها اللعاب
بمذاقها يعمى الضمير وينهج الغي الصواب
لرنينها نغم يحار الناي فيه والرباب
ولريحها عبق يضيق بسر معجزه الملاب
يا رائد الاحرار لا طال السرى بك والغياب
فانزل على دار الاحبة آن للسفر المآب
وأنا هنا خبر يفصله ويجمله عذاب
انا هنا بئر معطلة وبنيان خراب
انا هنا حطم وأشلاء تواريها ثياب
انا هنا رعف من الاكباد يلعقها الذباب
انا هنا رهق واذلال ولكنا شباب
تزقو بأضلعنا المنى وتموء في دمنا الرغاب
انا هنا عطشى الكفاح ونار ثورتك الشراب
أومىء نعب لهيبها خمرا نساقيه الحراب
وأسبق الينا الريح انا في ملاعبك ارتقاب
ويمين حبك لم يخن أهل ولم يغدر صحاب
فاطلع كوجه الصبح للعينين ما فيه ارتياب
قلها ، نرج الارض او يرجع سبيتنا الغلاب
فموارد الساحات للاحرار سائغة عذاب
ودنا حساب الظالمين وحق من يدك الحساب

* * *

قل ! ينتفض أفق تزمجر في مداه صاعقات
قل ! يهدر التيار تنطلق السيول العارمات
في وجه شعبي غضبة شعلت بوقدتها السمات
وبمثلها لمشردين الى فلسطين التفات
زمر وأفراد سوام في الدروب مشلعات
سحن مكسرة واطراف مخلعة شتات
خلق منتفة ، لقى ، نبذ معفرة فتات
ارأيت كيف يلوكهم شطط وتمضغهم فلاة
أسمعت كيف تئز آهتهم وتندلع الشكاة
عبثوا بقسمتهم لترغمهم على الشكر الهبات
حلفت لهم بالسد أسوان وبالبحر القناة
أن يرجعوا بالغار ينشدهم على الناي الحداة
أن يركز الرايات في جلعاد ابطال كماة
أن يستريح المتعبون وتستريح المتعبات
قلها ! نعم ! قلها مدوية ترن بها الجهات
قلها ! يهب المثقلون بحملهم والمثقلات
ينهد شيوخ مرملون وامهات مرضعات
يطفر اليك معذبون بحبهم ومعذبات
ينفر اليك الصابرون على الاذى والصابرات
ياهلة الاضواء تنهلها جفون معطشات
أدرك سفوحا رنقت فيها ظلال معتمات
يابدهة البازي ترقبه فراخ جازعات
أدرك زواغب في مدارجها صلال زاحفات
ياخطفة الراعي تجارت للقطيع الضاريات
ادرك فلمع الناب للمحه النعاج الخائفات
ادرك فان غدا – ومن يدري – حياة أو ممات



نحو مجتمع متجانس

بقلم : زكي الأرسوزي

لقد ورثنا عن القرون الوسطى اختلاف الرأي في الدين والمذهب وما زال الاختلاف في الثقافة الموروثة عن عهد الاحتلال الاجنبي سببا من اسباب الاختلاف في الموقف من قضايانا الكبرى . وهل من عامل اشد فتكا في صرح كياننا من الاختلاف على العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص بين الاقطاعيين الدخلاء وبين جمهور الكادحين من فلاحين وعمال ؟ وكيف نحول ، والحالة هذه، مجتمعنا مما هو عليه من تشتت واختلاف في الرأي الى تجانس وانسجام ؟!.

لدينا ثلاث وسائل نستعين بها على تبديل مصيرنا هي: العلم والصناعة ووحدة المنبت . فأما العلم فيجعل الانسجام بين العقول : فعندما يشترك التلاميذ في فهم القضية الهندسية تتحد عقولهم في حقيقة القضية ويتم الاتحاد هذا بينهم حتى ولو فرقتهم التقاليد الاجتماعية والطقوس الدينية . انه الى انتشار العلم في العالم يرجع الفضل في تحول الناس عن الاقليمية الى انسانية ذات اهداف مشتركة بين الاقوام .

واما الصناعة فتؤلف بين الناس بوحدة الفرض ، بعد ان توجب عليهم توزيع العمل بحسب الاختصاص. ألم يعد الى الصناعة امر تحويل المجتمعات من مرحلة ميكانيكية الى مرحلة عضوية ، من استقلال الاسر بعضا عن بعض بتأثير استقلال كل من هذه الاسر عن الاخر في المعيشة (مثلا الحياة في القرية) ، الى تلازم وانسجام بين الاسر على مثال تلازم اعضاء الجسد ، بتأثير التلازم بينهم في المعيشة ؟ حتى لقد زعمت بعض الدول بان رابطة المصالح بين النقابات في المجتمعات الحديثة سوف تعوض عن رابطة العشيرة في القرون الاولى ، وعن رابطة المذهب في القرون الوسطى .

ولا يقل شأن العلم والصناعة في ايجادهما مجتمعات تقدمية متحفزة عن تأثيرهما في خلق التجانس في العقول والانسجام في المصالح . ان كل حقيقة علمية مكتشفة تنضم الى الحقائق الاخرى فتذكى بذلك شوق الذهن الى الاستطلاع وتوحي الى النفس بالتقدم نحو مستقبل احسن . ومن شهد فيلما سينمائيا يمثل تطور احدى الآلات في فترة من الزمن كتطور السيارة مثلا يدرك ماينتظر الانسان من عهد ذهبي في المستقبل .

كذلك هو طابع المدنية الحديثة : عقول متحدة بوحدانية الحقيقة العلمية وهمة متعاظمة للسيطرة على الطبيعة . ولما كانت المدنية اشبه بموجة تحمل من عام عليها نحو شاطيء السلامة وتبقى من تخلف عنها مندثرا تحت اليم ، وكانت موجة هذه المدنية تتقدم وتتسع بصورة متناسبة مع انتشار العلم والصناعة فقد اصبح من اولي واجباتنا القومية امر استكمال شروط مقومات هذه المدنية .

الساعة

يا ساعة اتعبها النظام — عليك كل راحة حرام
تجرين لا يوقفك الزحام — مسرعة كأنك الحمام
هذي الليالي لك والايام — تفنينها كأنها أخصام
النوم من أعمارنا انحسام — ألا تنامين كما ننام ؟
أسقيك لو تسكرك المدام — فتسكر الشهور والاعوام
وتهجعون ان غفا الانام — وترقد الخمر ويغفو الجام
والليل والنهار ان تناموا — هما لكم في نومكم أحلام

ونحن في أحلامكم أوهام

الصافي النجفي

أنا انما نبني بالعلم والصناعة قاعدة وجودنا فسيحة في الطبيعة .

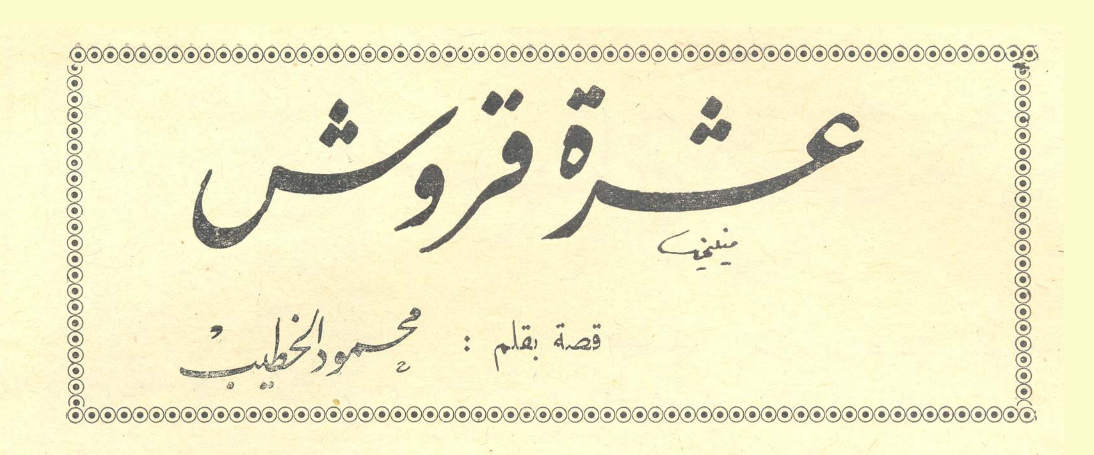
واما وحدة المنبت فهي جاهليتنا ، عهدنا الذهبي . ونحن نلتقي بعودتنا الى العهد الجاهلي مع المرحلة التاريخية المعاصرة في الثقافة وأي شاعر معاصر لم يتخذ له شعارا نصيحة نيتشه ! عش في حظر فتصبح شاعرا ؟ وهل من عهد عاش فيه الناس في حظر دائم فتصدعت نفوسهم عن اروع المشاعر كما عاش اجدادنا في الجاهلية ؟ هاك بعضا مما ورد ، بخصوص الجاهلية ، في رسالتنا اللغة والفن :

« كانت النزعات المنطوية عليها النفس ، تتجاوب في ذلك العهد مع المؤسسات ، فتفيض الحياة من هذا التجاوب خيرا وجمالا ، كانت مظاهر الحياة اذ ذاك ، تعكس بنية الافراد ، فتصبح اللمحات المنعكسة مصاعد يرتقى عليها الذهن ، نحو الايات من مصادرها . وكانت المشاعر الحاصلة من الانسجام بين الميول ورغباتها ، تغمر الناس سرورا ونشوة ، فتحملهم نحو اهدافهم ، على موجها متفائلين .

وفي عهد الفطرة هذا ، كان اجدادنا يستوحون اعمالهم ، مما انطوت عليه نفوسهم من مثل عليا ، فيقبلون على جلائل الامور ، وهم يجهلون النتائج . ولئن قال عمرو بن كلثوم ، البطل والشاعر الجاهلي :

ألا لايجهلن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فانه كان يفصح ، بهذا القول ، عن صبوة ذلك العهد .



كم من ليال شهدت فقرى المدقع ... انا الذي ورثته عن أب وجد منذ ايام قديمة وبت أتلوى من شدة الجوع .

لاتعجب ... .

فقد كان جدى زراعا قرويا عند بعض ذوي الاراضي الواسعة ، يكسب عيشه بكد وتعب ... ووالدي اسكافيا يبحث عن القرش بين النعال فيتعذر عليه وجوده في معظم الاحيان .

وما ذنبي انا ... انا الفقير ابن الفقير ... لماذا يتأففون مني هكذا ... لماذا يكرهونني في عملي ... حتى رئيسي هذا ينظر الي بقرف كأنني غرارة قذرة ... تبا لهم ما ابشعهم ... ألانني فقير ؟...ام انهم يحسدونني على عملي الوسخ هذا ، كعامل ينقل القار المغلي على يديه لصب الاسفلت . كم اصبحت ابغضهم ... هؤلاء كلهم ... كأنهم اشباح متآكلة ، غبراء ، جرباء .

وهيام هذه...زوجي ... اراها ضامرة هزيلة كأنما في بطنها مرض ، تأتيني في كل ليلة بجسمها المعوج وتطمئني وتسهر على حالي :

ـ خلقت لتعمل ياحسين ... لا تجزع .

وما احسنها وهي تداعبني عندما اتذمر :

ـ أف ، ياهيام ... انك لاتتصورين كرهي لهم ... هؤلاء الانذال الصعاليك ... اراهم ينظرون الي باحتقار كأنني دنس ولا ارى بينهم من يعاشرني بلطف (وتنهدت من اعماقي بعصبية)... هؤلاء الانذال ... الصعاليك ... اف ..

ـ لاتغضب ياحسين ... ليس في عملك عيب ... انت في شأنك وهم في شئونهم ... لم انت متأثر هكذا ؟... ها ياحبيبي ؟.

ـ لا ادري ياهيام . (وزفرت بقوة).

قمت في الصباح مرتخيا فارتديت سروالا وقميصا مشمعين قذرين ولبست يدي قفازين كتانيين ، سميكين لا تنفذ الحرارة من خلاياهما ...واتجهت في طريقي نحو مغلي « الزفت » .

بدت لي الوجوه كالحة سقيمة ... فيها خبث وضغينة ... يكللها غبار عالق لايزول ... والفيتها تنظر الي شذرا كأنها تقول : يا أيها المنبوذ القذر . وتطلعت نحو رئيسي فرأيته يحدق في بعينين نفاذتين فحولت بصري وأحسست بأحشائي تتصارع ، وخيل الي انني أتقيأ : تف . وذهبت الى المغلي .

ـ احمل ياولد .

هذا الصوت المنكر ... صوت رئيسي الذي أخذ طريقه الي بروتينية ممقوتة ... كم اصبحت ابغضه... كأنه الموت .

ـ امش يا حسين ... لاتتسكع ... انك تقبض اجرك .

تبا لك ايها المسؤول ... أليس في هذه البقعة الا انا ... أقبض اجري ؟! ... عشرة قروش ؟!... هه !! ... لماذا لا تحث غيري ؟... أكلهم مرضي عنهم وأنا المتقاعس وحدي ... ولماذا أنا ؟... ألانني لا اتبعك في نفاقك ؟... الانني لا أسكت على دجلك وتصرفاتك القاسية ؟... اتريدني ان أسكت ؟ ... ها ؟؟...سأسكت ... هل تكف عني ؟... هل تكف عني ؟... هل تعاملني كهؤلاء ؟... سأتبعك ... هل من شيء آخر ؟!... اتفقنا .(وهمست في نفسي

كأنني اخاطبه) : هل سررت الآن ؟. غير اني افقت على صوته يصرخ :

ـ امش ياحسين ... امش والا ...

فمشيت وأنا ازفر ...

وماذا والا ؟... ماذا سيفعل ؟... هـذا المتعـالي الجشع ... كأنه سلطان ... بيده الامر والنهي ... وهو الحاكم القادر ... ولكن علـى من ؟! ... علينـا نحن المساكين ؟... على أناس دقت رقابهم هراوة الفقر !... وكلهم خاضعون ! .... الا انا ... انا الـذي أبيت على نفسي أن أكون ذليلا كالآخرين ... لالا ... سوف لا نتفق يارئيسي ... ولن اسكت وأتبعك ... ولا اريدك ان تكف عني ... سأبقى صامدا .(وهمست في نفسي كأنني أخاطبه) : هل سررت الآن ؟.

وبدا لي كأن الصوت اخذ يتراجع ويـذوب في الضجيج القائم فلذت بنفسي خلف الآلـة الكبيرة ورحت اتذكر أول مقدمي عندما قابلته :

ـ اريد ان اشتغل ؟.

ـ هل في يدك شيء ؟.

ـ لا شيء ... انها خالية .

ـ الا تجيد مهنة ما ؟

ـ كـلا .

ـ اتقبل عاملا ؟.

ـ بأجر اعتاش منه ؟.

ـ عشرة قروش .

ـ في اليوم ؟!.

ـ اجـل ...

ـ ....

وفكرت قليلا، فتملكني شعور بالانقباض:عشرة قروش!. وعدت الى الوراء فتـذكرت بطالتي منـذ ستة أشهر ، وزوجتي التي اضواها الجوع وهي صابرة تشجعني . وتخيلت مصيري اذا لم أقبل ...وزوجتي هذه التـي سينهكها الجوع اكثر فأكثر ، فرفعت رأسي واستطردت بصوت خفيض مذل :

ـ اوافق ...

وبدأت ...

بدأت بنقل القار المغلى على يدي وصدري بأوعيـة صدئة لصبـه على الارض . وعـدت الى زوجتي فـي أخريات ذلك اليوم فرأيتها متهللة مغتبطة :

ـ الحمد لله .. ها أنت اشتغلت . (ومسحت بيدها النحيلة وجهي)

فقلت :

ـ بعشرة قروش ؟!!.

قالت :

ـ لا بأس ياحسين ... انها البداية . (فكففت)

ومر علي في عملي شهران . واستفسرت من بعض العمال عن اجورهم فقال البعض وأخفى البعض الآخر : يبدأ العامل بخمسة عشر قرشا في اليوم ... والقليل من يبدأ بعشرة ... مع ان القانون يمنع .

اذن لماذا ابدأ انا بعشرة قروش ؟.. لماذا لا اتقاضى خمسة عشر ؟... أأنا ناقص ؟.. ام انـه يريد ان يكسب مـن أجري ... انا الفقيـر ؟!... انا !.. سأراجعـه ... سأناقشه ...

وذهبت اليه ... وكان الوقت صبحا ... وكـل العمال متنشطون ، ويعملون بحركة ويغنون ... الا انا ... أحسست بألم يحز في نفسي ومرارة كادت تقتلني ... وفي اثناء سيري أخذت احدث نفسي :

ماذا سأقول له ... آ .. سأقول له : لماذا أنـا اتقاضى عشرة قروش وغيري يتقاضى خمسـة عشر قرشا ؟... لا لا ... سأقـول : هل تسمح لي بـأن اناقشك ايها الرئيس ؟ .. أجـل .. هل تسمح ؟ .

وليس هـذا ايضا . يجب ان أكلمه كلاما معسولا وبكل لطف :

ـ هل تأذن لي بسؤال يا حضرة الرئيس ؟ .

سيقول بعد ان يتفحصني :

ـ تفضل !! .

وعندئذ سأتململ في موضـعي وأبتـأس كـكل مظلـوم :

ـ بشأن العشرة قروش يوميا .. أليس من زيادة كالباقين يا حضرة المسئول ؟

وسيطرق قليلا ويفكر ... ثم يرفـع رأسه الي ببطء ويفتح عينيه الواسعتين ويجيب ... أجـل ... ماذا يجيب ؟ .

* * *

وفي أثناء حديثه معي اخذ يكلمني بعصبية وحنق:

ـ هل قلت لك ان تقبل ؟ ... ألم تأتني محتاجا؟.. ها .. تكلم يا أخي ؟ ؟ .

وتملكني من حديثه وجل وخوف فبدأت أتراجع ومع احساسي بتلاشي من أمامه ، طرق مسمعي صوته من جديد :

– حسين ...

وتقدمت بعد خذل فسيطر علي شعور بالخوف .. وتمنيت لو أطبق على عنقه بيدي الملطختين فأقتله .. وجال بخاطري كلمات خيل الي انها ستقال لي :

– أنت مفصول ... أفاهم أنت ؟ .

غير أنه خاطبني وهو يهز أصبعه بشدة :

– اذا راجعت بذلك مرة أخرى فسوف تكون النهاية ... هل تسمع ؟ .

– ...

وعدت متقهقرا كأنما سحقني صوته (العالي) ... وحمدت ربي انه لم يفصلني ... وتخيلت زوجتي التي ستنام الليالي جائعة ، لو فعل .

وعند عودتي في المساء جالستني « هيام » وفي وجهها تتلألأ دلائل سرور وفي عينيها بريق من سعادة فحرت في أمرها ... هذه المخلوقة التي لا يقهرها الم ولا جوع ، ولا تؤثر فيها تقلبات الزمن كأنها سارية من الصبر لا تتزعزع ، جعلت همها الوحيد «سعادتي» .

تشيعني في صباح كل يوم بقبلة وابتسامة تتبعني حتى الباب ... وتلاقيني في أخريات النهار فتضمني اليها بشوق وتمسح عرقي المنساب بكفها النحيلة ، ثم تجلسني على أريكة خشبية متداعية وتنضو عني ملابسي القذرة ، وتحضر وعاء كبيرا فيه ماء بارد وتغطس رجلي فيه فترة من الزمن حتى استريح . هذه الانسانة الوديعة الصابرة ... كم اصبحت أحبها !! ... أعبدها ! .

حدثتها في تلك الليلة عما جرى بيني وبين رئيسي ، فشجعتني على الصبر وقالت :

– لا تتعجل ياحسين ... ستأتيك الزيادة دون طلب ... لا تغضب رئيسك ... يخيل الي انه يحبك ويحافظ عليك .

فهززت رأسي وسخرت :

– يحبني ؟!! . غير انها ابتسمت .

***

تنبهت في موقفي كالذاهل .. وتلفت حولي مشدوها اتفحص عما اذا كان احد يراقبني فألفيت كل شيء يسير على ما يرام ، واسراب العمال تروح وتجيء ببلاصات عتيقة قذرة دون توقف ، فعزمت على ان اختلط بهم واباشر عملي . وعندما خرجت من خلف « الآلة » وهممت بالعبور سمعت صوتا ينادي :

– حسين ؟ .

« هذا الصوت القاتل كالسم ، يتهدج في عالمي دون ان يكلف صاحبه عنتا ولا اكتراثا ، كأنه زائد عن احتياجه ... ولكن ما شأنه بي ... فدنوت منه » :

– نعم ايها الرئيس ... هل من شيء ؟ .

فقال بلهجة محتدة :

– اين كنت خلال ربع الساعة الاخيرة ؟

وبدا لي ان اكذب ... وما دام في الكذب نجاة مع مثل هذا النوع من البشر فلافعل :

– في الشغل ايها الرئيس ...

– انك لم تصب قارا هنا !! .

– بل صببت ...

– اتكذبني ؟ !! .

– وماذا في ذلك اذا كان ماأقوله حقيقة ؟ .

– ايها الوقح !!! .

– وقح انت ايها الرئيس . (واحسست كأنني أزحت عن كاهلي عبئا)

فاشتد عضبه وتلفت حوله فرأى عيونا كثيرة تنظر اليه ، وألفيت في قسماته تعقيدا كمن ينوي شرا ، ومد يده الى جيبه واخرج دفترا كتب فيه ثم ناولني ورقة وقال لي بعبارة واضحة جلية :

– اذهب الى امين الصندوق .

تطلعت اليه وقد اصابني جمود يشبه الشلل ... وبدا لي في ملامحه شبح الجوع مخيف كالموت ... وتفرست في وجهه كالمخبول ، فأحسست بعزيمتي تهبط واعصابي تتراخى ، واستدرت من امامه وأنا أحس بعبء ثقيل يجثم على صدري ، وقد راودني شعوري ان استدير مرة اخرى وافرغ له كل مايحويه له صدري ، ففعلت وصحت :

– انتم معشر الرؤساء ... ما اقذركم !! .

الكويت : محمود الخطيب

أنا والغياب

غبت عني لكن تركت الغيابا   يتسلى بمهجتي مرتابا

يتنزى على مسارب دمعي   ضحكة تخجل الدموع انسكابا

ألغياب الحزن الغبي غلام   يتهادى في حرقتي اعجابا

حاطما دمية السلو مهينا   لوحة الصبر عابثا صخابا

أترضاه ناثرا ذكرياتي   في يديه يلهو بها أسرابا

فيهز الذكرى على أذنيه   رنة حلوة وجرسا عجابا

ثم يلقي بها ملولا ليحظى   بفراغي يصب فيه العذابا

ويغالي حتى يمزق روحي   مطلقا فوق ذكرياتي غرابا

الغياب الحزن المدلل طفل   يترامى على ضلوعي مصابا

يخنق الظن وهو متعة روحي   ويميت الشك المضيء سرابا

ضقت منه فرحت اعقد لحظي   بين غصنين يفنيان اقترابا

وبلقيا مدلهين استفاضا   قبلات نشوى وضجا رغابا

وبرعش الغدير ما ذاق منه   موجه غير عطفه فانسابا

علني أطرد الغياب واعدو   خلف وهم يصطاد منك الايابا

غير اني لمحت ما هو دان   يتمنى أن تمنحيه الغيابا

فلبست الرضى المضرج درعا   وتوشحت بالكفاف ثيابا

محمد الحريري

نظير زيتون

اذا كان هناك من يجلس على قمة البيان ، ويتولى امارة النثر ، ويعد صاحب مذهب في الاسلوب ، ورئيس طريقة من طرق التعبير ، وحامل لواء الوشي الفني بزخارفه وبريقه ووشيه .

واذا كان خليفة لعبد الحميد الكاتب وابن العميد والصاحب والبديع فلن يكون ذلك الا نظير زيتون .

هذا الاديب الالمعي ، والذهن المتوقد ، وصاحب الرسالة القومية في الادب المهجري ، واحد رواد الحركة الفكرية فيه ، والذي أسهم بأسلوبه البليغ ونثره البديع في أداء الرسالة الوطنية التي شاركه في حمل رايتها القروي وفرحات ، وآخرون من أدباء المهجر الامريكي الجنوبي .

كان « زيتون » من أركان « العصبة الاندلسية » وأدبائها الاعلام ، تولى أمانتها فترة طويلة ، وشارك اخوانه أدباء العصبة ، وشعراءها في حمل رسالة الادب ، وخدمة قضايا العرب .

وتولى رياسة تحرير جريدة « فتى لبنان » اليومية التي كانت تصدر من « سان باولو » .

وكان خطيب « النادي الحمصي » في «سان باولو» كذلك ، عشرين عاما ، يجمع القلوب حول راية القومية العربية ، ويثير الاذهان وينبهها الى وحدة شعوب العرب .

ومؤلفاته القيمة شاهد صدق له بعلو المنزلة في صناعة النثر ، وبالتفوق والتفرد في بلاغة الاسلوب ، الى ما احتوت عليه من جدة البحث ، وحسن المنهج . ومن بين هذه المؤلفات رسالته في استقلال البرازيل ، وكتابه «روسيا في مواكب التاريخ» ، وكتابه الاخير : «ولادة أمة» ... ورواياته « ذنوب الآباء »و«هيرودس الكبير » و «يسوع المصلوب» و «النبي الابيض» ... وسواها .

هذا الى مقالاته وفصوله الرنانة الذائعة التي كانت في شتى صحف المهجر ومجلاته ، والصحف المختلفة في البلاد العربية ، والتي جمعت حولها طائفة كبيرة من الادباء والمعجبين والتلاميذ وشداة الادب ..

ويعد «كتاب الشعلة» الذي يحتوي على مجموعة من خطب «زيتون» منارة رفيعة لطلاب البيان الرفيع ، والنثر المترسل المصنوع ، مع تمكن الطبع ، واكتمال الموهبة ، وشدة مراس الملكة .

ولا تجد شيئا نصف به أدب «زيتون» أبلغ من وصفه هو لادب المهجر حيث يقول :أدبنا شق الصخور ثم نما وسمق ، ونضجت ثماره ، في حرارة الشمس وزئير العاصفة ، وتناغم النسيم وتساوق فصول الحياة .

وعندما هاجر « زيتون » الى « سان باولو » عام ١٩١٤ كان في الرابعة عشرة من عمره ، فتى ذكيا تبدو عليه مخايل النبوغ ، وملامح الطموح ، ودلائل الشخصية القوية ، التي كانت تبشر بأن صاحبها سوف يكون من حملة الرسالة ... وكان ماكان ، عالج أبواب الرزق بالعمل في التجارة فأخفق ، فاتجه للادب ، يقرأ روائعه القديمة والحديثة ، ويتتبع مذاهبه ومدارسه في بلاد العروبة والمهجر ، ويدرس ويكتب ويشترك في ندوات الادب وحلقاته ومواسمه في المهجر الجنوبي ، حتى استقام له منهج مستقل ، ومذهب خاص ، وصار علما من أعلام الادب العربي الحديث ، ورائدا من أكبر الرواد والمجددين فيه .

هذا هو « نظير زيتون » الذي عاد من المهجر عام ١٩٥١ ، ليقيم في وطنه العربي في عهد حريته واستقلاله ، وليشهد بعض ثورات كفاحه من أجله وليرى الآمال وقد استحالت الى حقائق وأعمال ، وليمتع عقله وبصره بمواكب الحرية الصاخبة ، التي تسير في كل قطر من أقطار العروبة منادية للعرب بالعزة والمجد والسيادة في ظل حريتهم الكاملة ، ووحدتهم الشاملة .

هذا هو « نظير زيتون » ابن الستين ، وصاحب الرسالة ، والمكافح من أجل بني قومه ، والمؤمن بأمجاد العروبة ومحاضرها ومستقبلها ، ايمانه بمقدسات العرب وقوميتهم .

القاهرة : عبد المنعم الخفاجي

آراء في قصصنا الحديث

منيني

بقلم : اسكندر لوقا

« نص محاضرة ألقيت في ندوة جمعية الادباء العرب بدمشق والمركز الثقافي العربي في حمص »

ايها السادة :

اسمحوا لي ان اتجاوز المقدمة التقليدية التي تعودتم سماعها عند الحديث عن قصصنا القصيرة ، التي تشير عادة الى ان الانتصارات التي حققتها في مجالات النشر والاذاعة لم تعد بخافية على احد ، والى ان تجاوب القراء معها ، قد دفعها الى امام خطوة اثر خطوة ، بحيث استطاعت ، في وقت قليل ، ان تنافس شتى الالوان الادبية .. او كادت ان تضيق عليها .

اسمحوا لي ان اتجاوز ذلك كله لاقول بأن القصة القصيرة ، قد فرضت نفسها اليوم على القاريء ، وفيها من عناصر البقاء ما يجعلنا نطمئن الى وجودها واستمرارها كل الاطمئنان ، طالما هي تتصف ، في جملتها ، بأمانة نقل ، وحسن تعبير ، وعمق تجربة ، واتزان موقف ..

وليس هذا بغريب عليها . فالشباب الذين يعانون من تجربتهم في الحياة ، هم الذين يقدمون لنا القصة القصيرة . يقدمونها لنا صورا حية ، تردد اصداء تلك التجارب في جنبات نفوسهم .. وهي في جملتها لا تخرج عن اطار الواقع او احتمال حدوثها .

ولئن تعددت انواع قصصنا القصيرة ، كأن تكون رمزية او واقعية او واقعية تحليلية معا ، فانها تلتقي جميعا عند غاية واحدة . عند محاولة التخفيف عن شعور الانسان بوطأة الحياة ، وخاصة انسان ما بعد الحرب العالمية الثانية .

وهي اذ تتفرع الى انواع ثلاثة ، وان اردتم اقل او اكثر من ذلك ، انما تتبع اهواء اصحابها بالتأكيد ..



فمنهم ، في رأيي ، من يرى ان عقدة معاناة الحياة والاحساس بثقل وطأتها ، لا تنحل الا في بوتقة الرمز، بغموضه الآسر المثير ..

ومنهم من يرى ان الواقع هو خير ما يعبر عن هذه المعاناة القاسية ، بتصويره الصريح لها ..

ومنهم من يرى أن التحليل هو الاداة الكفيلة بوضع النقط على الحروف ، وحل رموز الحياة بما فيها اشدها غموضا ..

الاساليب كما ترون مختلفة ، ولكن الغاية من اتباعها لحسن الحظ واحدة . وما اظن ان كاتبا قد قصر عن سواه في التعبير عن افكاره الا بسبب من ضيق المضمون بالشكل الذي اريد له الاحاطة به ،

وما اظن ان كاتبا سعى ، بعد جهد ، الى غايته في ايجاد الشكل الملائم لافكاره الا وبلغها ..

ولكن ، الى ان تتوحد هذه الاساليب التي يسعى كل منها في جهة لخدمة الغرض الواحد ، او يسود احدها ، يبقى من الطبيعي ان نسأل انفسنا : اي من هذه الانواع القصصية الثلاثة ستكون له الغلبة ؟ وأي منها اكثر جدارة بحياة اطول ؟

ان الاجابة على سؤال كهذا السؤال ممكنة الى حد كبير ، وفي وقت كوقتنا هذا ، حيث يتبارى كتاب القصة القصيرة في تقديم انتاجهم على الملأ .. تحت بصر وسمع الذين يتهمون الشباب بالعقم والسطحية تارة ، وتارة اخرى يقولون ان لا قصة عندنا على الاطلاق !

أقول ، ان الاجابة ممكنة . ولكن قبل ان امضي في حديثي ، ارى أن اقدم تعريفا موجزا ، وموجزا جدا ، لهذه الكلمات (الرمزية ــ الواقعية ــ التحليلية)، التي تبدو احيانا مجردة من كل معنى ، واحيانا اخرى تزدحم بكل المعاني .

ــ فالرمزية في القصة القصيرة هي اشبه ما تكون بالتخبط حول المشكلة .. تماما كرسم لوحة في الظلام .

ــ واما الواقعية ، فهي طريقة لعرض المشكلة ووصفها من خارج ، تماما كلمس ظاهر قطعة من قماش دون معاينة وجهها الآخر .

ــ واما التحليلية ، فهي الكشف عن اعماق المشكلة بالغوص عليها . وهي في الوقت نفسه ايضاح لالغازها ، بما في ذلك من صعوبة على صعيد الفن .. وصعيد المقدرة .

ومما لاشك فيه ان القصة الكاملة ، هي القصة التي تعرض للقاريء مسألة من المسائل التي تعنيه من شتى وجوهها ، الظاهر منها والخفي ، ودون الاكتفاء بالاسلوب الوصفي التقريري .. حيث ينقلب كاتب القصة الى مجرد مصور او واعظ او كليهما .

ولعل خير تسمية تطلق على القصة التي تهتم بمعالجة جوانب المسألة ، أية مسألة ، جملة وتفصيلا .. هي : القصة الواقعية التحليلية .

ودفاعا عن هذا الرأي أقول ، ان اية مسألة انسانية ، يتصدى لها الكاتب ، يجد نفسه امام ابعادها الثلاثة . وان اهم هذه الابعاد الثلاثة هو العمق . وانه البعد الثالث الذي لا يطوله سوى التحليل ..

وهذه الاهمية التي تأتيه ، لا تفرضها طبيعة الحياة التي نعيشها اليوم فحسب ، كمشكلة معقدة قائمة بذاتها ، وتبحث لنفسها عن حلول .. بل تفرضها طبيعة الحياة التي سيعيشها ابناؤنا من بعدنا ، مشكلة أشد تعقيدا .. واكثر بحثا عن حلول .

وعلى هذا ، فان الاشارة بالرمز الى حاجة ما ، تلح على ذهن كاتب القصة ، او احد شخوصه ، لم تعد تكفي ، للقيام بالدور الذي يترتب على القصة القصيرة اليوم ان تقوم به . وذلك لان التلميح في القصة الرمزية ، ليس سوى وسيلة تفريغ شخصية ، تتيح للكاتب نفسه ان يقول ما يعاني ، ولكن مع مراعاة ابعاد الآخرين عن فهمه في يسر وسهولة ..

وفي هذا المجال نجد الفرق شاسعا بين الرمزية والواقعية في كتابة القصة القصيرة من حيث المبدأ . مبدأ الفن والهدف منه . اذ تعتبر القصة الواقعية ساحة مكشوفة لجريان الحوادث فوق ارضها .. وفي وضح النهار .. محصورة في مدى زمني معقول .

وعندما اقول رمزية ، لا اعني تلك الصور المادية الجميلة التي يستعيرها الكاتب من حوله ، ليرمز بها

الى حادثة نفسية ما ، كاستخدام عصفور وزهرة لتصوير قصة حب مثلا .. او كاستخدام غصن غض لتصوير قد الحبيبة .. او ماشابه ذلك . وانما اعني تلك المحاولات العقيمة التي يفلسف بها كاتب القصة فاذا به يقود قارئه في متاهة مظلمة ، حتى اذا انتهى منها ، بعد لف ودوران ، وجد نفسه امام شبه موقف .. او امام موقف مهزوز ..

وهو - القاريء - في كل حال ، يعاني من شدة الاجهاد وفك الالغاز ما لا تتطلبه منه قراءة قصة قصيرة .

ان ظهور مثل هذه المحاولات القصصية ، تدعونا الى التساؤل : هل نحن حقا بحاجة الى القصة الرمزية؟

أجيب ، ان الحاجة تدعو اكثر الى القصة التي تجمع بين الواقع والتحليل ، وذلك في سبيل حل العقد .. ومن اجل الرد على الاسئلة العديدة التي يطرحها القرن العشرون على انسانه الحائر ..

انه لا يكفي ان نأتي بمسألة من تلك المسائل العديدة التي تثيرها الحياة ونعرضها بشكل واضح ، بل يترتب علينا - كتاب القصة الحديثة - ان نتناولها من شتى زواياها . والتحليل - كفن وعلم - هو الذي يقدم لنا اكبر العون في هذا المجال .. واعني التحليل الدقيق الذكي الذي يصدر عن ثقافة واسعة واعية .

وذلك لان عمل كاتب القصة لا يحسن ان ينتهي عند مجرد السرد ، بل عند الكشف عن موقف يستدعي في ذهن القاريء عددا من الاسئلة التي تساعد على حل المسألة المطروحة على بساط البحث .

ان القصة الواقعية التحليلية ، هي وحدها التي تؤدي المهمة عن جدارة وصواب معا .. في حين يجتر الكاتب نفسه مرة اثر مرة ، في رمزيته الفردية الفردية المطبقة .. او هو يعرض شخوصه على وجه الورقة البيضاء كما لو كان يرمي بتحية عابرة ، في واقعيته التصويرية ..

وان الكشف عن الموقف في القصة الواقعية التحليلية ، اذ يثير في ذهن القاريء الاسئلة ، انما هو يحمله جانبا من مسؤولية الاسهام في التفكير وايجاد الحل للمسألة المطروحة . وهي بالتالي تخفف من غلواء القصة الرمزية ، في جنوحها نحو الباطن الباطن ، حيث تتشابك نوازع النفس الانسانية ولا يتضح خيطها الابيض من خيطها الاسود .. كما تخفف من لامبالاة القصة التصويرية التقريبية ، وتخلص من ذلك جميعا الى حل تقديم الخدمات . أي انها ترتفع بالمسألة الى الصعيد العام .

ومن هنا ، نتبين اهمية القصة الواقعية التحليلية ، من حيث كونها لونا ادبيا محببا . وان أسئلة صغيرة كهذه : كيف ؟ ولماذا ؟ واحقا ؟ اذ تثيرها القصة الواقعية التحليلية ، يقود كل منها الى دنيا معرفة رحبة ، تشكل قضية الانسان فيها جملة، جانبا ضئيلا ، وضئيلا جدا ، من قضية الوجود بأكمله .

وختاما ، ان القصة الواقعية التحليلية ، كظاهرة ادبية تبدت في قصصنا الحديث ، من انتاج الشباب ، استطاعت ان تثبت وجودها ، وتعلن عن نفسها في اكثر من مناسبة . وهي في احاطتها الواعية بروح العصر ، وبما تستدعيه هذه الاحاطة الواعية في النفس البشرية من اصداء .. تعطي ملامح المستقبل الافضل لانسان القرن الحالي والقرون القادمة ، وتخطط الدرب للوصول اليه .

وانها لجديرة حقا بأن تسهم في القاء الاضواء الباهرة على ما يختلج في هذه النفس البشرية اليوم من آمال كبيرة .. في اعتمادها على ملاحظة وجهي المسألة ، اية مسألة انسانية ، من داخل ومن خارج .

دمشق - اسكندر لوقا

اربعة ايام اخرى في برلين

عدت الى الفندق مثقل الخطى تعب الجسم شارد الذهن . فمنذ ساعة او يزيد كنت أمام الشامخات التي خيم عليها البؤس ، كنت امام الادواح التي هجرها الربيع فلم يعد ليمر بمغانيها ، كنت امام الحضارة التي قوضها أدعياء السلم والحضارة ، كنت في برلين الشرقية . هناك حيث الوجوه التي ودعت الابتسام منذ عهد بعيد ، حيث القسمات التي سكن فيها البؤس ويأبى فراقها ، فأقام فيها الغضون والاخاديد ، حيث الجباه التي طالما قبلتها الشمس عزة بها فاذا بها اليوم تندى آلاما وحزنا ، كنت في برلين الشرقية حيث يعيش الالمان تحت سيطرة المحتلين يفرضون عليهم النظم في حياتهم في سيرهم في عملهم ، وفي طعامهم وشرابهم – ان وجدوا الطعام والشراب – .

وأويت الى غرفتي يساورني القلق والحزن والتعب والارهاق وتساورني غصة لم أدر مصدرها . ووجدتني جد راغب في الكتابة رغم كل ما بي . وماذا أود أن أكتب عن شعب لا تربطني به صلة رغم تقديري له واعجابي به ؟ ومرت لحظات ، لحظات يستيقظ فيها الفكر ويتحرك فيها الضمير ، لحظات عرفت بعدها سبب ما ينتابني من الغصة والالم . تذكرت فلسطين ، تذكرت ما يقاسيه اخواني العرب من محتل أثيم وما أكثر ماتتشابه الاوضاع ، وما اكثر ما يجمع الالم والمصائب بين المتباعدين تذكرت شعبا عربيا يعيش تحت رحمة محتل لم يكن أقل نذالة من أي محتل ، وتخيلت اخواني في فلسطين تنفطر قلوبهم حسرة للقاء أخوانهم ، تخيلت هذا كله في برلين المحتلة ورأيت فيها هذا الشوق يتمخض عنه فرار الاباة من أبناء برلين المحتلة تحت جنح الظلام ليجدوا في شق بلدهم الآخر الامن والطمأنينة والكرامة .

عندها بكيت ، بكيت لكل عزيز تذله الاقدار ، وبكيت لكل شعب يطأ ارضه البغاة ليعيثوا فيه فسادا ، وليجعلوا أعزة أهله أذلة .

رأيت في برلين المحتلة نساء واطفالا ان ينبيء مظهرهم بشيء فانما ينبيء عن الفقر المقيم والحزن العميق . ولكن رغم هذا كله لم تنطفيء بوارق الامل في عيونهم بعد . فماذا ينتظرون ؟ ما أظن الا انهم يتأهبون لما يتأهب له عرب فلسطين ينتظرون الساعة التي لا بد منها ، ينتظرون الغضبة الكبرى التي تعيد الحق الى نصابه وتترك كل آثم خاسرا وكل ظالم مدحورا .

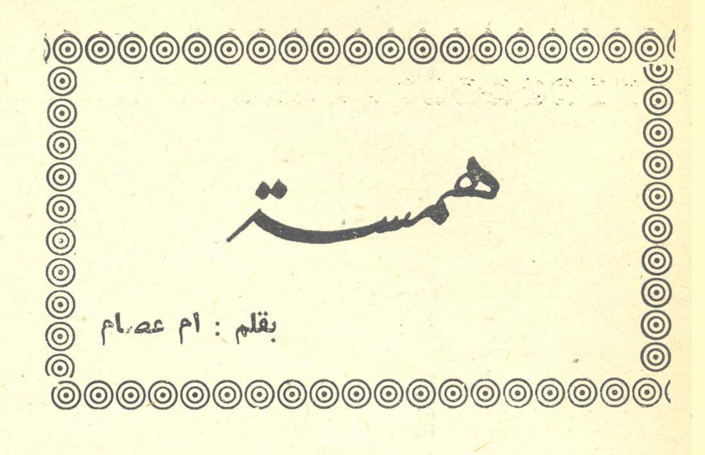
نزلت على الدوح البغاث وحل في الروض الغراب

وهناك أسراب الحمائم لفها قفر يباب

وعلى هوان الشوك اجنحة الصقور لها انسحاب

يا للصقور يعضها شوك ويعفرها تراب

ابو عاصم



في حديقتي شجرة ... احبها كثيرا ...

انها صديقتي .. ورفيقة صباي ..

معها مرت صباحاتي وأمسياتي .. وتحت فيء ظلها امضي اويقاتي ..

أكلمها وتكلمني .. أواسيها وتواسيني .. افرح لهـا وتفرح لي ..

انها مخلصة وفية .. صامدة ثابتة .. لاتتبدل..

لا تعرف الغدر .. ولا الخداع ..

منذ زمن طويل زرعتها بيـدي .. ورويتهـا بدموعي .. ووهبتها عنايتي واهتمامي .. وحبي .. وكبرنا معا .. خطوة .. خطوة ..

وغدت سامقة تشمخ في اباء .. ووفاء ..

انها شجرتي .. شجرة الليلك الجميلـة .. الناعمـة ..

اخضرارها يمدني بالامـل ..

وزهرها الليلكي يمنحني الهدوء والصفاء ..

والبارحة رأيتها كئيبة .. حزينة ..

فحز في نفسي ألمهـا .. وقلت لهـا :

ها هو الربيع يا صديقتي ..

لقد خلع عليك ثوبه الزاهي .. وكساك بزهيرات حلوة مخملية ..

الزهر بين اعطافك يا شجرتي .. فلم تشكين وتميلين ؟ ...

انها نسمة لطيفة داعبتك فلم الخوف ؟ ...



أما مر عليك الشتاء قاسيا نائحا ؟ ...

فصمدت .. وقاومت ..

وأتاك الربيع فاستجبت لدفئه وأزهرت ..

في براعمك تسري الحياة .. فلا تدعي الخـوف يتسرب الى شبابها الغض النضير ..

دعيها تنم متفائلة يا شجرة ..

دعيها تكتمل .. وتناغ الوجود ..

لحزنك سبب يا صديقتي .. فما هو ؟ ..

هل خلفتك العواصف حطاما لا تقوى على تحمل نسمة اخرى ؟ ...

أم أحزانك من رفيقاتك الشجيرات ؟ .

قولي .. كلميني يا شجرة .. لاتكتئبي ياصديقتي من غدرها ان غدرت ....

تسامحي .. ففي التسامح راحة وأمن .. وفـي البغضاء طيش ورعونة ..

لقد هدك منها التحول والتبدل .. واغضى منك ماء الحيـاة ..

لكن الأيـام كفيلة بأن تعيد اليك الثقـة والراحة .

وها هي الدماء قد سرت في اطرافك وبراعمك ..
بعثت فيها الروح من جديد

يا شجرتي .. لا تيأسي .. لكل اول آخر ..
ولكل آخر نهاية ..

دعي الزمان يمسح عن نفسك جراحها وعذابها ..
إن النسيان خير بلسم .. وخير دواء ..

كوني متفائلة .. عيناك تتطلع الى الامام .. الى المستقبل .. الى الربيع العاطر الزاهر ..

دعي الخريف الذي مر .. والشتاء الذي ولى ..
دعي الماضي وما مر معه .. من احزان وافراح ..

تلفتي حواليك تري الاشجار الزاهية .. والزهور المتفتحة .. والفراشات الرانية ..

افتحي أذنيك لهمسات الوجـود .. واستمعي للحن طروب ..

يا شجرتي .. لندع كل ما مر علينا تبدده النسائم اللطيفـة ..

هناك ياشجرتي فيما وراء الافق .. أمل حلو ..
يجب ان نتطلع اليـه .. ونستمد من وحيه زادا ومعينـا ..

تحت جنحك كم التقى عاشقان ! ! استمعي الى مناجاتهما تحلو لك الليـالي والايام ..
لا تكوني مثلي .. هاربة من كل شيء ..
لقد أتعبني التطواف .. وهدني الغدر ..
أنا اطوف وانت ثابتـة ..
أنا ابحث وانت عازفة ..
لقد غيبت لوعة الافق أملي ..
وسلب طلوع الفجر احلامي ..
وذوت مع الامسيات امنياتي ..
فجئت اليك لاشكو لك .. ورأيتـك شاكيـــة مثـلي ..
من لنـا يا شجرتي سوى أنفسينا .. تشـقيانا وتغريـانا ؟ ..
من لقلبينا اللذين عذبا .. سوى ان نبعث نحن فيهما الحياة والصمود من جديد ؟ ...
لا تنتظري يا شجرتي من غيرك المساعدة ..
فقد عـرفت البشـر بأنواعهم .. وعرفت فيهم القاسي .. والناسي ..
الشامت والغادر .. والساخر ..
ونهضت يا شـجرتي وجـراح الكبوات تـدمي ركـبتي ..
وداوتها يداي .. لا يد من دفعني الى الكبوات ..
من يرميك لا يسأل عنك .. من يعذبك لا يأسف لعذابـه ..
من يغدر بك لا يزعجه غدره ..
من ينساك لا يفكر بك ..
فلم تخدعين نفسك ؟ ...
كوني الصديقة لذاتك التعبة .. وافتحي عينيـك المقرحتين تري الجمال والاشراق ..
لتكن تلك اليد الرحيمة التي ترعاك هي يدك ..
لتكن تلك الروح التي تبعث فيك حب الوجـود من جديد هي روحـك ..
لتكن تلك العزائم التي تشدك الى الصمود هـي عزائمـك ..
فالشيء الذي لا ينبع منك لن يهبك اياه الناس..
يا شجرتي ..
لقد جمعتنا الشكوى .. وألـف روحينا تشـرد الحيـاة ..
وخلق بيننا نوعا من الصداقة الاليفة ..
فلأقـل اليك ما يجب ان يقال ..
سأهمس اليك بكل أسراري .. وأطلعك علـى دخائلـي .. فقد أمضني الصمت ..
ان حياتي أوسع من حياتك ..
أنت تقفين ثابتة في مكانك .. وأنا اتجول وآتيـك منهكـة .. متعبـة ..
لأقص عليك حكايات الناس .. وحكاياتي ..
اليك همسة ليسـت أخيرة .. يا صديقتي ..
ستتبعها همسات ..
« كوني حكيمة نفسك .. لا تنتظري من غـيرك اي شيء » ..
الناس آذان صماء .. ونفوس عجفاء .. قلـوب متحجرة ..
وعقول متبلدة .. وعواطف متجمدة ..
لقد استبدت بهم الـ « أنـا » وتحكمت فيهـم ارواحهم الظمأى .. لكل ما هو مرده اليهم ..
دمعتك لن تجرح الا خديك ..
لن تذوي الا عينيـك ..
فلتمسحها يداك .. ولتنسها مقلتـاك ..



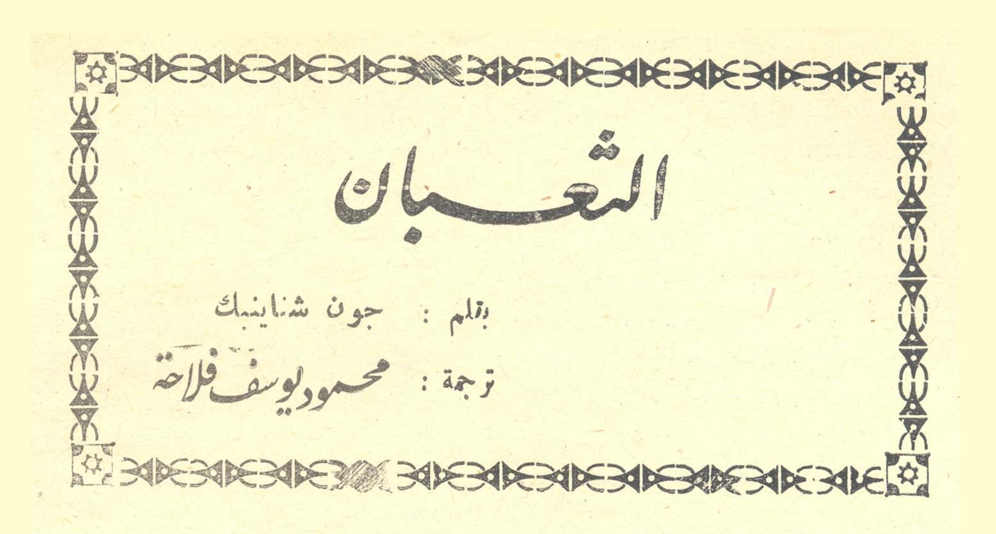
ملل ... طال عليك الملل ... كيف لا تنأى ولا تعتزل
ولقد عيف الهوى ، وانطفأت ... جذوة منه ، وماتت شعل
والقلوب البكر ، ما حركها ... ثائر في دمها متصل
جمد الحس ، فلا منطلق ... هازج فيه ، ولا مرتسل
والشباب الطلق لا يفتنه ... ساحر من صبوة ، او غزل

أين يا سامر لهو مرح ... وأفانين هوى ... ترتجل
أين أسراب الصبايا خطرت ... في فساتين الصبا تحتفل
مرت الذكرى بها ، فاضطرمت ... عاطفات ، وتلظت قبل
من لياليها ، ومن ايامها ... مر في المقلة طيف عجل
وانطوت يا أمس من أحلامها ... هفهفات .. عطرات .. ذلل

ما لقلبي ، فر عنها .. ونأى ... فهو عن دنيا المنى منشغل
كان يحيا املا مبتسما ... ليت لو يبعث فيه الامل
ولشعري ، أين من أبياته ... وقوافيه ، الندي الخضل

قال لي أمس صديقي مازحا ... كيف لا تضحك لي ... يا رجل
ليته مر بجرحي لرأى ... أي جرح في لا يندمل
لست ادري ما الذي مر على ... خاطري ، فهو مخوف وجل

بانياس : أحمد علي حسن



كانت ستائر الظلام توشك ان تسدل ، حين ترك فيليبس الطبيب الشاب الفدير ، وقد وضع الجراب الجلدي على كتفه ، واخذ يتسلق الصخور حتى وصل الشارع ، فسار فيه ضاربا الارض بقوة ، بأحذيته المطاطية ، وحين وصل مخبره التجاري في شارع السردين المعلب في ((مونتيري)) ، أضيئت مصابيح الشارع .

ومخبره هذا كان في عمارة صغيرة ، أحكم تشييدها ، يرتكز نصفها على أعمدة فوق مياه الخليج ، ونصفها الآخر يقوم على الساحل ، وعلى جانبيها اكتظت معامل تعليب السردين .

صعد الطبيب سلم البيت الخشبي ، وفتح الباب ، فشرعت الفئران البيضاء تقفز في اقفاصها الشبكية ، واخذت القطط المحبوسة تموء تريد اللبن ، حين اصبح في داخل البيت ، فنظر الطبيب الى الاضواء الساطعة فوق المشرحة ، والقى بحمله على الارض ، وسار نحو الاقفاص الزجاجية الموضوعة على مقربة من النافذة ، حيث تعيش الثعابين السامة ذات الاجراس ، ومال بجسمه فوقها ، واخذ يحدق فيها ، فرآها ترقد هادئة في جوانب الاقفاص ، وقد التفت حول بعضها ، غير ان رأس كل واحد منها كان بارزا ، وكانت عيونها الغبراء جامدة ، ومذراة ألسنتها ، ذات اللون الاسود في اطرافها ، والخمري في اوساطها ، بدأت تتذبذب صعودا وهبوطا حين استند الطبيب الشاب فوق الاقفاص ، وعندما عرفت الثعابين الرجل سحبت ألسنتها الى داخل افواهها .

خلع الطبيب الشاب سترته الجلدية ، واشعل نارا في مدفأة من الصفيح ، ثم ملأ قدرا بالماء ، ووضعه فوق النار ، واسقط فيه ((علبة)) من الفاصولياء ، ووقف يحدق في الجراب الجلدي الملقى على الارض ، والطبيب فيليبس شاب صغير الجسم ، له عينا خبير نظر كثيرا في المجاهر ، وتحلي ذقنه لحية صغيرة شقراء ، وبدأ الهواء الساخن يتصاعد ، وسرى وهج الحرارة من المدفأة الى ارجاء البيت والامواج الصغيرة اسفل البناء ترتطم بهدوء بأعمدته ، وفوق الرفوف كانت النماذج البحرية المتنوعة التي يعمل بها المخبر ، متراكمة طبقة فوق طبقة .

التفت الطبيب الى باب جانبي وفتح مصراعيه وعبر خلاله الى غرفة نومه الصغيرة ، ذات الاثاث البسيط ، ففيها سرير عسكري خفيف الحمل ، ومصباح مكتب ، وكرسي خشبي قديم ، وعديد من رفوف الكتب ، ..... فخلع احذيته المطاطية ، وانتعل خفين خفيفين من جلد الغنم ، ثم عاد الى الغرفة الثانية ، فوجد ان الماء في القدر بدأ يغلي ، ... عندئذ انحنى فوق الجراب ، ورفعه الى المشرحة ، وافرغ منه اربعا وعشرين سمكة من نوع ((نجم البحر)) ، ورتبها واحدة الى جانب الاخرى ، ثم استدار بعينيه الخبيرتين نحو الفئران العابثة في اقفاصها الشبكية ، وتناول قليلا من القمح من كيس ورقي ، ووضعه في قصعة امامها ، فهرعت الفئران الى القمح واخذت تلتهمه .... ثم تناول زجاجة حليب كانت موضوعة على رف زجاجي بين اخطبوط صغير ، وسمكة هلامية ، وسار نحو قفص القطط ، غير انه قبل ان يملأ لها اوعية الحليب ، تناول قطة مخططة من بينها ، وربت عليها لحظة ، واسقطها في صندوق اسود صغير مدهون ، واقفل عليها ، ثم فتح صنبور الغاز الواصل الى غرفة الاعدام هذه .... وبينما كانت مقاومة طفيفة تدور في الصندوق الاسود ، اخذ يملأ اوعية الحليب ، فتمطت احدى القطط ولمست بظهرها المقوس يده ، فابتسم وربت على عنقها .

هدأ الصندوق الاسود بعد امتلائه بالغاز الخانق وزالت المقاومة الطفيفة التي دارت فيه قبل قليل ، فأغلق الطبيب مفتاح الغاز الواصل الى هذا الصندوق المحكم الذي لا ينفذ منه الهواء ،

وعلى الموقد ، كانت فقاعات الماء الغالي في القدر تثور عنيفة حول علبة « الفاصولباء » ، فتناول الطبيب العلبة بملقط حديدي كبير ، وفتحها ،وافرغ ما فيها في صحن زجاجي ، وبدأ يأكل طعامه ، من غير ان يغفل لحظة عن مراقبة سمكات نجم البحر .. ، الموضوعة على الطاولة ، فلاحظ بعد قليل بضع نقاط من سائل حليبي يسيل بينها ...

وحين انتهى من تناول طعامه ، وضع الصحن في الحوض وخطا نحو خزانة الادوات الطبية ، وتناول منها مجهرا وعددا من الجفنات الزجاجية الصغيرة ، ملأها بماء البحر من انبوب ، ونظمها واحدة تلو الاخرى ، بجانب اسماك نجم البحر ، ثم وضع ساعة يده على المنضدة تحت المصباح الابيض ، وتناول «قطارة» من درج ، وانحنى فوق الاسماك وامواج البحر تئن أنات خفيفة بين اعمدة البناء تحت البيت ...

وبينما كان على وشك البدء بعمله ، سمع خطوات هادئة سريعة على درج السلم الخشبي ، تلاها قرع شديد على الباب ، فاتجه نحوه ليفتحه وقد ارتسمت على وجهه امارات الغضب المفاجيء ، وفي الممر ، امام الباب ، رأى امرأة طويلة مخيفة ، ترتدي ثوبا قاتما خشنا ، وشعرها الاسود الطويل متهدل فوق جبينها ، في غير نظام ، كما لو ان الريح عبثت به ، اما عيناها فكانتا تلمعان في الضوء الشديد ...

حيته المرأة وقالت في صوت هاديء عميق :ـ

ـ هل لي ان ادخل ، فأنا اريد محادثتك ..

فاجابها بلا مبالاة :ـ

ـ « اني منهمك في عملي الآن ، وعلي ان اتم بعض الاشياء في مواعيدها » ، غير انه أفسح لها الطريق ، فدخلت وهي تقول :ـ

ـ سأصمت .. حتى تستطيع محادثتي ..

فأغلق الباب ، واحضر لها الكرسي القديم من غرفة نومه ، وقال معتذرا :ـ

ـ ترين ، لقد بدأت التجربة ، وعلي ان اكون على مقربة منها .

استندت المرأة الطويلة الى المنضدة ، وشرع الطبيب يجمع بقطارته بعض السائل من بين اسماك نجم البحر ، وينقطها في طاس مملوء بالماء ثم امتص بقطارته بعض السائل الحليبي المنساب بينها ونقطه في الطاس نفسه ، وحرك المزيج بقطارته ، ثم اخذ يفسر ما يقوم به الى المرأة :ـ

ـ « تفرز اسماك نجم البحر الناضجة جنسيا ، حيوانات منوية وبويضات ، حين تتعرض للجزر في البحر ، وباختيار الانواع الناضجة منها ، واخراجها من الماء ، اعطيها ظرف الجزر ، وسأضع الآن بعض خليط البويضات والحيوانات المنوية في هذه الجفنات الزجاجية ، ثم سأقتل حيوانات الجفنة الاولى بالمنثول بعد عشر دقائق ، والثانية بعد عشرين دقيقة ، ثم مجموعة اخرى كل عشرين دقيقة تالية ، .... لذا اكون ، كما ترين ، قد ضبطت التجربة بمراحل ، ثم سأضع مزيج مراحل هذه السلسلة من التجربة على لوحات زجاجية مجهرية ، لطلاب دراسة علم الحيوان .. »

ثم قال بعد ان صمت قليلا :

ـ هل تودين النظر الى هذه المجموعة الاولى تحت المجهر ؟

ـ كلا ... اشكرك ..

فالتفت سريعا اليها ، اذ لا احد يرفض النظر في المجهر ، فوجدها تنظر اليه لا الى تجربته ، وعلى رغم ان عينيها السوداوين كانتا عليه ، الا انهما بدتا ، حين حدق فيهما ، وكأنهما لا يريانه .. فلقد كانت القزحية في ذات سواد بؤبؤ العين ، ولم يكن هنالك خط فاصل بين الاثنين ... نعم ! لقد ادرك الآن لماذا بدت وكأن عينيها لاتريانه .

جرحت كبرياء الطبيب ، ومع ان الاجابة على الاسئلة تثيره ، الا ان عدم الاهتمام بما كان يقوم به كان اكثر اثارة له ، لذا تأججت في صدره الرغبة في اثارة هذه المرأة التي صدمته لعدم اكتراثها بما يقوم به .. فقال لها :

ـ سأقوم بعمل ما في الدقائق العشر الاولى ، وهنالك كثيرون لا يرغبون في رؤية ما سأقوم به ، لذا فريثما انتهي ، قد يكون من الانسب ان تدخلي الى الغرفة الثانية .

فأجابته بلهجتها الناعمة الرقيقة ، ويداها مسترخيتان في حجرها واحدة الى جانب الاخرى ، وعدا عينيها اللامعتين فان اعضاء جسمها الاخرى كانت مسترخية ...

ـ .. لا .. افعل ما تريد ... سأنتظر حتى تستطيع ان تتحدث معي .

فعاودت الطبيب الرغبة في اثارتها ، وقال في نفسه :ـ

ـ انها لاتختلف عن الضفدعة ، فكلاهما في مستوى منخفض من الحيوية ، وهذا ما يبدو من نظراتها .

***

عاد الطبيب الى تجربته ، فأحضر مهدا خشبيا صغيرا الى المشرحة ، واخرج المشارط والمقص ، وشبك ابرة كبيرة جوفاء في انبوب ضغط ، ثم اخرج جثة القطة النافقة من صندوق الغاز ، ووضعها في المهد ، وثبت اطرافها بسنارات الى الجوانب والقى نظرة على المرأة الى جانبه فلم تتحرك فقد كانت لاتزال مسترخية.وفي الضوء ، لمعت اسنان القطة كالابر ، فضغط على اللسان الخمري ، فشق بمشرطه جلدها من ناحية الحلق ، حتى وصل الشريان ، ثم ثبت بالصمغ الابرة في مهارة متناهية ، وقال موضحا :

ـ هذا سائل التحنيط ، وفيما بعد سأحقن المجموعة الوريدية، بسائل اصفر ، والمجموعة الشريانية بسائل احمر ، لبيان الدورة الدموية لطلاب علم الحيوان ..

ثم نظر ثانية نحوها ، فبدت عيناها السوداوان وكأن عليهما غشاوة ، وبلا مبالاة نظرت الى عنق القطة المشقوق ، من غير ان تسيل منه قطرة دم ...

ـ لقد آن وقت المجموعة الاولى ...

قال الطبيب هذا ونقط عددا من باورات المنثول في الجفنة الاولى امامه ، والمرأة هادئة ، تثير بهدوئها اعصاب الطبيب ، والفئران تتسلق اسلاك اقفاصها ، والامواج تحت البيت ترتطم بأعمدة البناء ، والشاب يحس بقشعريرة تهز جسمه ، فوضع مزيدا من الفحم في المدفأة ، وجلس وهو يقول :

ـ والآن ، ليس لدي ما اعمله لعشرين دقيقة ..

ولاول مرة ، لحظ الطبيب كم كان ذقنها قصيرا ، فبدأت عميقة ، فارتفع رأسها ، وجالت بنظراتها في الغرفة ، ثم استقرت عيناها ، وقالت ويداها لا تزالان مسترخيتين في حجرها :

ـ لقد كنت انتظر ... أعندك افاع .

ـ نعم .. لماذا ؟ عندي نحو اربع وعشرين أفعى سامة من ذوات الاجراس ، استخرج سمها ، وارسله الى مخابر الترياق .

فقالت وعيناها تحوطانه في دائرة واسعة ، من غير ان تتركزا عليه لحظة : ـ

ـ أعندك ثعبان ... ثعبان سام ذو اجراس .

ـ حسنا ... انني أعرف أنه عندي ... فقد دخلت المخبر ذات يوم صباحا ، فوجدت ثعبانا كبيرا يلتصق بأفعى صغيرة ، وهذا نادر حين تكون الثعابين داخل الاقفاص ، لذا اعرف ، كما ترين ، أن عندي ثعبانا ..

ـ واين هو ؟ ..

ـ هنا في الصندوق الزجاجي على مقربة من النافذة ، ولكن.. لماذا ؟ ..

فتحرك رأسها بطيئا ، ويداها جامدتان في حجرها وقالت :

ـ أيمكن ان اراه ؟

فنهض الطبيب وسار الى الصندوق الزجاجي ، وعقدة الثعابين داخله ، ترقد مسترخية على قاعدته المغطاة بالرمل ، ورءوسها واضحة ، فامتدت ألسنتها وتحركت صعودا وهبوطا تتحسس الهواء لتضمن ذبذبتها ، فأدار الطبيب رأسه بعصبية ، فوجد المرأة تقف الى جانبه ، ... كيف تحركت من مكانها ؟ وهو لم يشعر بصوت سيرها ، بل سمع فقط صوت ارتطام الماء بأعمدة البيت تحته ، وصوت الفئران تقفز على واجهة صندوقها الشبكي .

ـ أين هو الثعبان الذي تحدثت عنه ؟ .

ـ فأشار الى ثعبان كبير رمادي ، يرقد وحيدا في ركن من اركان الصندوق .

ـ ذاك هو .. انه خمسة اقدام طولا ، وموطنه الاصلي في تكساس ، وعلي ان اخرجه من الصندوق حين اطعم الثعابين الاخرى لئلا يلتهم جميع الفئران التي تقدم طعاما للثعابين الاخرى ...

فحملقت المرأة في رأس الثعبان الخشن الجاف ، بينما مذراة الالسنة بدأت تهتز فترة طويلة .

ـ وهل أنت واثق انه ثعبان ؟ ..

ـ الافاعي السامة مضحكة أحيانا ، وكل تعميم عنها يكون خاطئا، لذا فلا اريد ان احدد ما اقوله عنها ، لكنني استطيع ان أؤكد لك انه ثعبان .

فلم تتحرك عيناها عن الرأس المسطح وقالت : ـ

ـ هل تبيعنيه ؟ ..

ـ أبيعه ؟ أبيعه لك ؟ ..

ـ أنت تبيع العينات ؟ .. أليس كذلك ؟ .

ـ نعم ! نعم ! .

ـ كم ثمنه ؟ خمسة دولارات ؟ أم عشرة ؟ .. أم ....

ـ ليس اكثر من خمسة ، ولكن هل تعرفين شيئا عن الثعابين السامة ذات الاجراس ، ربما تلدغك !! ..

فنظرت اليـه لحظة وقالت : ـ

ـ أنا لا أوي أخاه .. اذ سأتركه هنا ، لكنني اريده لي ، وسآتي الى المختبر ، فأراه ، واطعمه ، واعرف انه لي ..

ثم فتحت حافظة نقودها ، وناولته دولارات خمسة ، وقالت : ـ

ـ لقد اصبح لي .. انه الآن لي ..

فأجابها الطبيب والخوف يتسلل الى قلبه : ـ

ـ يمكنك ان تأتي الى هنا من غير ان تشتريه ..

ـ انني أريده لي .. لي ..

فصرخ الطبيب : ـ

ـ يا الهي ... لقـد نسيت الوقت ، ففات علي اوان بـدء التجربة الثانية ثلاث دقائق ، ولكنها لن تؤثر كثيرا .

ثم اسرع الى المنضدة ، ووضع بلورات المنثول في الجفنـة الثانيـة ، وعاد الى القفص حيث كانت المرأة لا تزال تحدق في الثعبـان ، فسألتـه : ـ

ـ ماذا يأكل ؟ ..

ـ انني أطعمه الفئران البيضاء ، فئران من هذا القفص ..

ـ أيمكن ان نضعه في الصندوق الثاني ، لانني اريد اطعامه .

ـ لكنه ليس في حاجة الى الطعام ، فقـد تناول فأرة هذا الاسبوع ، والافاعي لا تأكل احيانا لثلاثة او اربعة اشهر ، وقـد كان عندي واحد منها لم يأكـل لاكثر من سنة ..

ـ فسألتـه بنبرتها الهادئة :

ـ هل يمكن ان تبيعني فأرة ؟ ..

فهز الطبيب كتفيه وقال :

ـ لقد أدركت الآن ... انك تريدين مراقبة الافاعي وهـي تأكـل .... حسنا ، سأريك ذلـك ، ... والفـأر سيكلفك خمسا وعشرين سنتا ، وهـذه الرؤيـة خير من منظر مصارعـة الثيران ... ولكنها من ناحيـة اخرى ليست اكثر من منظر ثعبـان يأكـل طعامـه ..

ولهجتـه في كلمتـه الاخيرة كانت حادة ، فهو يكره الذين يجعلون من التجارب الطبية نوعا من مناظر الرياضة ، لانه ليس رياضيا بل هو عالم طبيعة ، وبمقدوره ان يقتل الف حيوان للمعرفة، ولكنه لن يقتل حشرة للهو ، وهذا ما قر رأيه عليـه منذ زمـن بعيـد ..

فأدارت رأسها ببطء نحوه ، وابتسامة خفيفة ترتسم عـلى شفتيها الدقيقتين ... وقالت : ـ

ـ أريد ان أطعم ثعباني ، وسأضعه في الصندوق الآخر .

ثم فتحت غطاء الصندوق حيث يتمدد الثعبان ، وادخلت يدها قبل ان يدرك الطبيب ما كانت ستقوم بـه ، فقفز نحوها ، وجذبها الى الخلف ، فانطبق الغطاء والطبيب يصيح : ـ

ـ ألا تدركين ما تقومين بـه ، ربما لن يقتلك ، ولكنه قـد يصيبك بمرض على رغم ماقد اقدمه من مساعدة اليك .

ـ اذن ، ضعه في الصندوق الآخر ...

فاضطرب الطبيب ، وهو يجتنب العينين السوداوين اللتين لم تبـدوا وكأنهما تنظران في الخلاء ، فأحس بالخطأ الشنيع حين يضع فأرا في الصندوق لا ، بل احس ان من الاجرام عمل ذلك ... لم يعرف لماذا ، فهـو يحس بالقيء الليلة ، على رغم عدد المرات التي القى فيها بالفئران الى صناديق الثعابين حين كان يطلب منـه بعض زائريه ذلـك ، فحاول ان يتحال عبثا من هذا الاحساس ، فقـال : ـ

ـ أليس جميلا رؤيـة فأر امام ثعبان ، فهذا يريك كيف سيتصرف الخصم القوي امام الفأر الضعيف ، وتصرف قوي كهـذا يجعلـك تحترمين الثعابين السامة ذات الاجراس ، وكثير من الناس يتخيلون الرعب الذي تثيره الافاعي حين تفتك بضحيتها ، ولعل سبب ذلـك شعور الفأر بذاته ، والانسان فأر ، وحين ترين ذلك الفتك مرة ، يصبح الامر كله شيئا موضوعيا ، والفأر يبقى فأرا والرعب يزول ..

ثم تناول من الحائط عصا طويلة ، ثبت مشبك مطاطي فـي طرفها ، وفتح غطاء الصندوق ، ووضع المشبك حول رأس الثعبان ولف الحبل ، فملأ الغرفة طنين الذنب الحاد ، وبينما كان يخرج الثعبان من صندوقه ، التف الجسم الضخم حول مقبض العصـا ، وقـد تهيأ للدغ في أيـة لحظة ، غير ان الطنين بدأ يخف حين وضع الثعبان داخل الصندوق ، ثم زحف الجسم الضخم الطويل ، الـى ركن من اركان الصندوق الزجاجي والتف حول نفسه ورقد هادئا ، فقال الطبيب : ـ

ـ ان هذه الافاعي ـ كما ترين ـ أليفـة ، وهي عندي منـذ زمن طويل ، واظن انني استطيع امساكها بيدي اذا اردت ذلـك ،

غير أن كل من يلمس ثعبان ذا اجراس لا بد له ان يلدغ عاجلا او آجلا ، ولا اريد ان انال حظي من اللدغ ..

ثم نظر نحو المرأة ، ورمى الفأر في الصندوق ، فوجدها قد تقدمت نحو القفص الجديد ، وعيناها السوداوان مثبتتان على رأس الثعبان الجاف ..

ـ ضع الفأر ...

فذهب الى قفص الفئران مسلوب الارادة ، فقد كان لسبب ما حزينا متألما لمصير الفأر التعيس ، وشعور كهذا لم يصبه من قبل ...

بدأت عيناه تتفحصان مجموعة الفئران البيضاء ، وهي تتسلق حاجز قفصها متقدمة نحوه ، فأخذ يسأل نفسه : ـ

ـ ايها ؟ ... ايها ؟ ...

ثم استدار فجأة غاضبا نحو المرأة : ـ

ـ ألا ترغبين ان اضع قطة ، فترين آنئذ قتالا حقيقيا ، وربما تنتصر القطة ، لكنها ستقتل الثعبان ، سابيعك قطة اذا اردت .

فأجابته دون ان تنظر اليه : ـ

ـ ضع فأرا ... أريد ان ارى ثعباني يأكل .

ففتح قفص الفئران ودفع بيده فيه ، فأمسكت ذيل فأر سمين احمر العينين ، فرفعه ، والفأر يحاول ان يعض اصابعه ، لكنه هدأ حين خاب ، وقد شد من ذيله وتدلى جسمه في الهواء ، فأسرع الطبيب عبر الغرفة ، وفتح الصندوق حيث يرقد الثعبان ، واسقط الفأر على ارضه المغطاة بالرمل ... وصرخ :

ـ والآن ... راقبي ...

فلم تجبه المرأة ، فعيناها كانتا على الثعبان الذي بقي هادئا ، بينما كان لسانه يتذبذب في فمه خارجا داخلا ، متحسسا هواء القفص ، ... استقر الفأر على قوائمه ، ثم استدار وشمشم ذيله الخمري الاجرد ، ثم دب بلا مبالاة على الرمل ، وهو يتفحص رائحة الارض التي يدب عليها ..

كانت الغرفة آنئذ هادئة الا من تنهدات لم يعرف الطبيب أهي تنهدات المرأة ، أم تنهدات الماء بين الاعمدة في اسفل بيته ، ثم رأى بطرف عينه المرأة تقعد القرفصاء ثم تجمد ...

والثعبان يزحف ببطء ورقة من مكانه ، ولسانه يتذبذب في فمه ، والفأر ثابت في مكانه يلعق شعر صدره الابيض ، وزحف الثعبان اكثر فأكثر وقد رفع عنقه المحني .. والغرفة لا تزال هادئة ...

حطم هدوء الغرفة اعصاب الشاب الطبيب ، فأحس بالدم وقد اوشك ان يتفجر من عروقه ، فصرخ : ـ

ـ انظري اليه ... هذه انحناءة الفتك في عنقه ، والثعابين ذات الاجراس حذرة ، تبالغ في حذرها الى حد الجبن ، وهي تحصل على طعامها في ذات مهارة الجراح الذي لا يدع للحظ فرصة التحكم بأدواته ..

والثعبان قد انساب حتى قلب الصندوق فرفع الفأر رأسه ولكنه حين رأى الثعبان امامه خفض رأسه وعاد الى لعق صدره ، فقال الطبيب وقد خفق قلبه :

ـ هذا اجمل ما في الوجود ... لا شيء يفوق هذا اخافة .

والثعبان قد اقترب من ضحيته ، ورأسه مرفوع بضع بوصات عن الرمل ، والرأس يتحرك بطيئا الى الامام والى الوراء ، مصوبا .. مقدرا ... ومصوبا من جديد .. فنظر الطبيب ثانية نحو المرأة ، فشعر بالقيء ...

رفع الفأر رأسه ورأى الثعبان امامه ، فسقط على قوائمه ، ونهض ثم لمعت الضربة .

لم يكن من الممكن رؤيتها ، فقد كانت ومضة فقط ، أن الفأر بعدها كما لو ان ضربة غير مرئية قد اخترقت احشاءه ، وزحف الثعبان ثانية مسرعا الى الركن الذي انطلق منه ، ورقد ، بينما كان لسانه في حركة دائمة ...

ـ تماما ، تماما ما بين فقرات الصدر ، ولا بد ان الانياب قد وصلت القلب .

والفأر ثابت مكانه يتنفس وكأنه منفاخ عجلة صغير ابيض ، ثم رفس بقوائمه الهواء بعنف ، وسقط ميتا ، فانتشت المرأة ، انتشت وكأنها في حلم لذيذ ... فقال الطبيب لها : ـ

ـ حسنا ... لقد كان حماما عاطفيا ... أليس كذلك ؟ .
فأدارت عينيها الغامضتين اليه وسألته : ـ

ـ هل سيأكل طعامه الآن ؟...

ـ سيأكله حالا ... فهو لم يقتل لهوا وعبثا ، بل قتل لانه جائع ..

فتفتحت أطراف فم المرأة ثانية ، ونظرت نحو الثعبان وقالت :ـ
ـ اريد ان اراه يأكل ...

تحرك الثعبان من ركنه ، وقد استوى عنقه ، وتقدم من الفار حذرا ، على أهبة التراجع اذا هاجمه الفار ، وحين وصل الجثة مد أنفه الحاد وغمزها به ، وتراجع ، ثم تقدم ثانية وجس الجثة من الرأس الى الذيل وقد أيقن من موتها ، فبدا وكأنه يزنها ويقبلها ، ثم فتح فكيه على مصراعيهما .

فملك الطبيب زمام نفسه ، وتحكم برأسه خوف الالتفات الى المرأة ، وقال في نفسه : ـ

ـ سأتقيأ اذا فتحت المرأة فمها ... سارتجف رعبا ..

ثبت الثعبان فكيه حول رأس الفار ، واخذ يبتلعه وعنقه يتقلص ويتمدد لتسهيل البلع ثم انطبق الفكان ، وبدأ الحلق يزحف بالضحية ... فاستدار الطبيب الشاب واتجه نحو مشرحته وقال متألما ...

ـ لقد جعلتني افقد احدى تجارب المجموعة ، لذا فانها لن تتم .. !!

ثم وضع احدى الجفنات تحت مجهر منخفض ونظر اليها ، لكنه افرغ محتوياتها غاضبا في الحوض ، والامواج تحت البيت هدأ هديرها حتى تحول الى همس يتسلل عبر ارض البناء ، فرفع الطبيب بابا قلابا تحت قدميه ، وقذف بأسماك نجم البحر الى المياه السوداء ، ونظر بصمت الى القطة المصلوبة في المهد الخشبي ، واسنانها مصكوكة تلمع في الضوء ، وجسمها محقون بسائل التحنيط ، فأغلق المحقن ، وانتزع الابرة منه ، وربط العرق والتفت الى المرأة : ـ

ـ أترغبين في تناول شيء من القهوة ؟ ..

ـ لا اشكرك ... سأغادر البيت حالا .

فخطا نحوها ... حيث كانت تقف والثعبان امامها قد ابتلع الفار ، الا بقية من الذيل الخمري كان متدليا من فمه كلسان ساخر ، ... تضخم الحلق ثانية واختفى الذيل ، فانطبق الفكان حتى المفاصل ، وزحف الثعبان الكبير الى ركن الصندوق وجعل من نفسه رقمي خمسة متعامدين ثم اسقط رأسه على الرمل وهدأ ...

فقالت المرأة وقد خلت عيناها من الحلم الضبابي : ـ

ـ هو الآن يغط في نومه ... لذا فسأذهب .. غير انني سأعود بين آونة واخرى لاطعام ثعباني ، وسأدفع ثمن الفئران ، فانا اريده ان يأكل كثيرا منها ، وسآخذه احيانا معي ، .... تذكر انني صاحبته ، فلا تأخذ من سمه شيئا ، فانا اود ان يحتفظ به ... عم مساء ..

ثم هرعت نحو الباب وخرجت ، فسمع الطبيب وقع خطواتها على السلم الخشبي ، الا ان الصوت لم يصله حين اصبحت على الرصيف .

فأدار الطبيب كرسيا وجلس امام صندوق الثعبان ، وحاول ان يجمع شتات فكره أثناء نظره الى الثعبان المسترخي ، وقال في نفسه : ـ

ـ لقد قرأت كثيرا عن نماذج الجنس النفسية ، لكن هذه النماذج لن توضح ما رأيت اليوم ، ربما لانني وحيد تماما ، وربما كان علي ان اقتل الثعبان .. لو عرفت .. لكن .. لا لن استطيع ان ادعو لشيء !! ..

ثم انتظرها اسابيع لتعود وقد عزم على ...

ـ سأغادر البيت واتركها وحيدة حين تعود .. ولن ارى ثانية ما حدث ...

غير انها لم تعد ، فكان يبحث عنها حين يسير في شوارع البلدة ، وكم من المرات جرى خلف امرأة طويلة ظنها هي ... لكنه لم يرها فيما بعد ... لم يرها ابدا ....

فنون والوان

معرض الفنون التشكيلية الاول

« ان الفن الحقيقي لا يبـدأ الا مـن الحقيقة الباطنة . والمهم لدى الفنان أن يهتز ويعشق ويأمل ويرتجف ويحيا أو فلنقل ان المهم أن يكون انسانـا قبل أن يكون فنانا » .

أوغست رودان

بقلم : الدكتور سلمان قطاية

ان مشكلة الابداع الفني الاصيل في بلادنا لاتزال قائمة بكليتها . فهي تعاني المصاعب الجمة ، والمشاكل المختلفة بالنسبة للفنان وللجمهور في آن واحد .

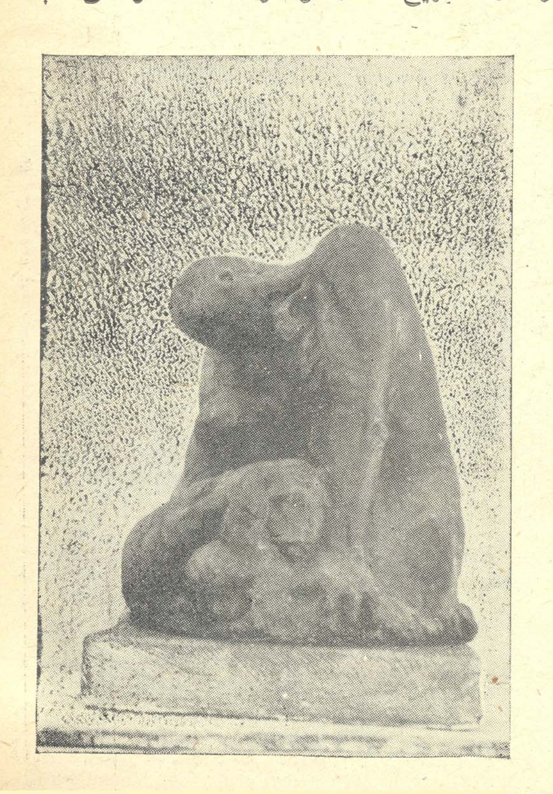
فمهمة الفنان هي البحث عن حقيقة ذاته فيأقصى حالات توترها الانساني ألبحث العنيد المتواصل حتى النصر الاخير . الا ان جذور نفسية فناننا ، وهيكـل ذاتيته ، لا تحمل شكلا واحدا ، ولا تستمد روحهـا من مصدر واحد . فكل فنان يحمل مفاهيم مختلفـة تختلط مع بعضها احيانا بانسجام ، وباضطراب احيانا أخرى . حتى يخال المرء ان العلاقة بين الفنان والجمهور تصبح من آن لآخر عالقة في الفراغ تتأرجح كأوراق الخريف الساقطة .

هذا هو الشعور الذي يتملك الزائر لمعرض الفنون التشكيلية الاول الذي يشترك فيه فنانو الجمهوريـة باقليميها لاول مرة .

١ ـ اتجاه كلاسي اكاديمي

ومن بين الفنانين الذين يتبعون باخلاص الاساليب الاكاديمية والتعاليم المدرسية نجد محمد صدقي الجباخنجي ، وهو الناقد الفني المعروف ، وصاحب مجلة «صوت الفنان» التي كانت تصدر في القاهـرة والتي سدت فراغا كبيرا في عالم الثقافة الفنية .

ونلمس فـي لوحاتـه جودة التأليف ، وحسن اختيار اللون ، والاحتفاظ بدقائق النسب في المنظور والتشريح . ولكن لوحاته تفتقر الى البعـد



النفساني والجو الوجداني الخاص وهذا العيب يظهر اكثر وضوحا في لوحة محسن الخضراوي « بائعة الرمان » التي ظهرت فيها التعاليم الاكاديمية باوضح صورة واجلى بيان فجلسة « النموذج » فيها السكون والجمود ، والجو شرقي مفتعل كالجو الذي نراه في صور الغربيين الذين يزورون الشرق بسرعة فلا يرون فيه الا مظهرا من الالوان الحارة والمواضيع الغريبة

« ومحمود جلال » ينتسب الى هذه الفئة من الفنانين ، فهو في لوحاته اكاديمي كلاسي ميال الى الرومانسية في بعض الاحيان . ولقد عودنا منذ معرض الربيع الاول على لوحاته « ذات الموضوع » فبعد أن عالج مأساة فلسطين العربية من زاوية الهجرة ، هاهو اليوم يقدمها لنا من زاوية العودة الى الارض الحبيبة المغتصبة . على شكل لفيف من الفلاحين يتقدمهم جمل مضطرب الاعضاء ؟ وودنا لو انه تخيل العودة بصورة تعبر بقوة عن تلك الرغبة المكبوتة طويلا والحق المغتصب ظلما ، والامل البهيج الذي لايبرح ذائرة الغولي ! وفي اللوحة ايضا بعض النقائص التقنية في النسب التشريحية وأبعاد المنظور ، وبعض الضعف في اختيار الالوان وتقييم وظيفتها .



وكما يقول المثل العربي : تلك العصا من هذه العصية ، فان خالد جلال يبرهن لنا في اعماله الفنية (االنحت) عن موهبة حقه ، وبراعة أصيلة . فتمثاله النحات ، قطعة كلاسية فنية جميلة اذ بدى الوجه ساميا في انسانيته ، رائعا في عنفوانه وهو ولا شك قد خطا خطوة حميدة الى الامام . كذلك فتماثيل وديع رحمه كلها من النوع المدرسي الواقعي . وهوقد اتقن « الصنعة » في النحت الى حد ما خلال الاشهر القليلة التي قضاها في القاهرة في بدء دراسته الفنية: فتوازنت كتله ، وتناسبت اعضاء شخوصه ، ولكن التردد مازال باديا ، وعدم الاهتمام بالفراغات وقتميها ظاهرا والاهتمام بالمواضيع الواقعية ذات الصبغة العاطفية مبالغ فيه .

اما عدنان انجيله فقد غير من اسلوبه ونحى نحو البساطة مخابرنا بقطعة « الراحلة » فيها السمو والهدوء ، والبساطة والجدة .

٢ ــ اتجاه انطباعي :

وفئة اخرى من الفنانين اختارت « الانطباعية » مذهبا ، باشراقها البهيج ، ونورها المتفائل ، وألوانها المرحة . ومن اوائل الانطباعيين في الشمال نصير شورى الذي تغنى بمحاسن الغوطة بلماعية ألوانه وبرعشات لمسات فرشاته كما في لوحته « قصر العظم » حيث بدأ أسلوبه واضحا : الوان شفافة ، متكامله ومواضيع طبيعية ناعمة . ولكنه يقدم أيضا محاولة جديدة فيها رغبة في التجديد من حيث الاسلوب فقط .

فهو يكثر من استعمال اللون الاصفر تارة على شكل نقاط او فواصل وتارة اخرى بخطوط طويلة ، وفي خلفية اللوحة محاولة شبه تجريدية . ولكن الموضوع (ابنه الفنان) ظل جامدا اكاديميا فالفتاة في وضع « النموذج » الجامد فانقطع الانسجام بين الاسلوب الحركي الثائر والوضع الهادىء الساكن .

وها هو ناظم الجعفري يعود الى المعارض بعد سلبية طويلة حرمت عشاق فنه من تأمل المناظر الطبيعية ، ومناظر دمشق القديمة التي اعتاد مناجاتها وانتزاع اسرار الجمال منها ، رغم الوانه التي تميل احيانا الى العتمة ، ولمسات فرشاته العريضة المشوشة ارصابا .

والانطباعية اتجاه يغلب على معظم محاولات فنانينا ، لعل ذلك لانها الخطوة التحررية الاولى من قيود الكلاسية نحو حرية اكبر في مجال التعبير عن الذات . لذا فقد انتشرت وازدهرت على ايدي فنانين عديدين امثال : زهير الصبان وعبد القادر النائب ورشاد قصيباتي ولطفي محمد زكي واسماعيل حسني وشريف اورفلي . وهم على درجات مختلفة من الاتقان وقوة التعبير . لكن الغالبية اندفعت وراء الالوان وبريقها والطبعية وانغامها وتركوا جانبا العمق النفساني والجو الروحي الذي لابد للوحة منه كي تكون نتاجا فنيا انسانيا .

٢ – اتجاه تعبيري :

ومن الانطباعية انتقل البعض نحو تعبيرية نفسانية خاصه . واختار هذا الطريق صلاح الناشف ، الذي كان يتبع طريقا انطباعيا هادئا ثم شبه تكعيبي تزييني حاد الالوان ، اذا به منذ امد قريب يتجه نحو تعبيرية تعتمد على المواضيع المأساوية وعلى الالوان الزرقاء الشفافة ودرجاتها .

ولم يلبث ان لحق به عفيف البهنسي الذي بعد ان اتبع اسلوبا انطباعيا ثم تجريديا عاد الينا باسلوب تعبيري « ذي موضوع » .

وباستطاعتنا أن ندرج في نفس الاتجاه لوحات محمود حماد الاخيرة ، وتمثال خالد جلال « العطش » .

التعبيرية سلاح ذو حدين . فهي ان سمحت للفنان باظهار عواطفه الجياشة الانسانية في صور عنيفة وألوان صارخة ، فهي في مبالغتها بتحوير الشكل وتطويره بغية الاستزاده في قوة التعبير ، تصل احيانا الى عكس الهدف الذي تريده .

فبدل الشعور المأساوي اذا بها تصل الى شعور هزلي كاريكاتوري ، وبدل اثارة العواطف الانسانية في النفوس اذ بها تثير البسمات الشفقة .

ولنفس السبب ، اي تحطيم الشكل وتحويره قد تصل احيانا الى حدود القبح واثارة التقزز في النفوس .

ولقد ادرك كبار الفنانين التعبيريين امثال : فان جوج ، ومونش ، وكوكوشكا ، وسويتن ، وردو ... هذا الخطر فتحاشاه كل منهم بطريقة خاصة واسلوب شخصي . فمن الكاريكاتور تخلص البعض باظهار العواطف الانسانية وتجسيمها والتركيز على التعبير الانساني في كل امكانياته وقمة توتره النفساني والمثل الواضح لهذه الطريقة هو رسوم الفنانة الالمانية « كيته كولفيتس » التي سبق ان عرضت لها رسوم مختلفة في دمشق .

ومن خطر التشويه تخلص فان جوج بجمال الالوان وانسجامها ، وروعة « الاحمر والاخضر » وحسن اختيارهما .

ولقد وقع صلاح الناشف في اخطاء التعبيرية بنسب متفاوتة تختلف من لوحة الى اخرى . ولوحته « المشردون » تحتوي على توتر نفساني مأساوي



رائع . الا ان التشويه كان بدون غائية واضحة المعالم ظاهرة الهدف قوية البنيان ، فأصبح يصدم النفوس ويجرح العيون ، اضف الى ذلك قلة الالوان وشفافيتها فهي لا تكاد تظهر في مكان حتى تغيب في مكان آخر .

ولقد أحس عفيف بالخطر فعوض عنه باللون فصاغ منه اشكالا مريحة للعين ، ولعل تجربته في ميدان التجريد أعانته في هذا السبيل واجمل لوحة له هي « الامل الكبير » لانتظام الشكل والتكوين فيهما

والجو النفساني الساكن العميق .

أما المشكلة التي يطرحها محمود حماد فهي ابعد مدى واكبر اثرا .

كان حماد في بداية امره منذ ان عاد من روما عام ١٩٥٧ شاعرا رقيقا عذبا يتدفق نعومة في وصف الطبيعة حيث كانت ألوانه تدغدغ العين كحلم لذيذ ، وتبعث في النفس نشوة طرب موسيقي عذب .

وعندما احتك بواقع الحياة المرة التي يعانيها ابناء حوران (أثناء عمله في درعا كمدرس) من قحط وجوع وعطش ، ولم يكن لنفس الفنان الحساسة الا التأثر الشديد بالواقع الضنك والعذاب القاسي . فانقلبت طريقته الى واقعية تعبيرية تأخذ مواضيعها مما يحيط بالفنان : العطش ، الهجرة الامومة ... واما الاسلوب فقد حاول حماد ان يجد حلا وسطا للفن التجريدي والفن الموضوعي في دراسات مختلفة بحيث ان العنصرين يتفاغمان للتعبير عن الشعور الانساني المرافق للموضوع ولقد بلغ في ذلك درجة عالية من النجاح فلا غرو فهو التلميذ الروحي للفنان الفرنسي « هونوريه دوميه » .

ولكنه اليوم في هذا المعرض يقدم لنا لوحات ذات جو غريب : فهو في لوحته « فراق » مسرحي تعبيري ، ياخذ عن « مونش » اشكاله وعن « شكسبير » مواضعيه ! وفي لوحته « المهربون » عاطفية غير مستحبة كانها تصف مشهدا قصصيا ولا تحلله ، وتقدم مشكلة ولا تفسرها !

ان لوحات حماد حتى الآن تحتوي على عناصر تميز نوعا ما شخصية الفنان في بلدنا فلقد ادرك عناصر المأساة التي نعيشها في بلدنا واستخلص منها ما يتجاوب مع ذاته وحقيقته الداخلية . ولكنه في هذه المرة يبدو وكانه اضاع الطريق وضل الهدف !

٤ ـ « نحو فن عربي قومي »

والكلام عن العناصر المميزة للفنان في بلادنا يقودنا الى الحديث عن نعيم اسماعيل . فلقد اختار نعيم هدفه واعيا ، وانطلق يكيف موهبته في سبيل تحقيق هذا الهدف : فهو يريد ان يعطي لفنه اسلوبا عربيا محضا . فاتخذ من مظاهر الحياة العربية الشعبية مواضيعا للوحاته ، ومن الفن الشعبي مساحاته اللونية الحارة ، ومن الزخرفة العربية ميزات التقنية فاستطاع ببحثه المتواصل العنيد ان يصل الى عناصر جديدة ادخلت في لوحاته جوا شرقيا ذا مسحة عربية .

ولقد قطع نعيم في هذا المضمار شوطا بعيدا ، ولكن العناصر التقنية في لوحته والاشكال الواردة فيها توحي بعدم التوازن والارتباط بل انها تكاد تنهار في بعض الاحيان كما في لوحته « اطفال » . ولا نزال نحس ان على هذه العناصر ان تذوب في بوتقة موهبة الفنان (لان نعيم موهوب جدا) ليصبها هذا من جديد في قوالب اسلوب اكثر اصالة وانسجاما. وربما وجد الحل في ان يجلي عينيه برؤية روائع الفن العربي في متاحف اوروبا ليجد نفسه وجها لوجه مع المشاكل الجمالية التي عاناها فنانو الانسانية الكبار ، والحلول العملية التي توصلوا اليها ..

ولهشام زمريق محاولة في نحو نفس الهدف . فلقد كانت المواضيع والاساليب الشعبيه تستهويه وتملك عليه لبه . ولكن اغلب النقاد وجدوا في محاولته نوعا من التصاميم التوضيحية . وها هو يدع ذلك الطريق ويعود من جديد الى « الطبيعه الصامتة » وهي مجاله الكبير فيما اعتقد .

كما يريد سامي برهان في لوحاته مزج الخط العربي بالصورة في دراسات متنوعة اساسها الخط المستقيم وتراكيبه ، والالوان الرمادية ومشتقاتها . ولوحاته لا تزال في طور الدراسات بعد ولم تتخط مرحلة البوتقة .

وللخطوط المستقيمة اهمية كبرى في تراكيب ممدوح قشلان الذي بدأ من دراسات « بول جوجان » وهو اليوم يعمد الى المواضيع الشعبية والالوان الحارة الصارخة احيانا فينثرها في لوحاته باحثا عن ايقاع شكلي سريع يعبر عن حدة التعبير لديه . ذلك التعبير الذي ظهر واضحا في لوحاته عن حوران (حيث كان ملازما لصديقيه محمود حماد وادهم اسماعيل) وقبل ان يلجأ الى اسلوبه الاخير الذي وان بدت فيه اصالة وانسجام ، يشكو من التعقيد والاهتمام بالخطوط اكثر من الاهتمام بالمساحات .

٥ ـ بين التجريدية والفن الشكلي

ولعل الفنان حينما يكثر من التحديق في اللوحة ويطيل النظر فيها تختفي الاشكال في سحب الخيال ، وتتراقص الخيالات امام اعين الفنان وتعود الصور الى عالم السديم وحدود المستحيل ، وهي في طور التكوين . ولوحات الآنسة فيوليت عجمي من هذا

النوع . والآنسة من حلب وتعرض لاول مرة في الاقليم وكانت قد درست فن التصوير في مرسم «كراند شوميير» في باريس على يد الاستاذ «شاتس» وهو من المدرسة التجريدية . والآنسة شديدة التأثر باستاذها ، ولكن ذلك لا يمنعها من اظهار شخصيتها الهادئة خلال لمسات خشنة من السكين تنثرها حسب ايقاع جميل وكأنها فهمت درس المعلم الافرنسي الكبير « بول سيزان » .

وكانت قد عرضت في باريس ونالت الاستحسان وتتمنى ان تشترك دوما في المعارض في اقليمنا لتزيد من ذخرنا الفني .

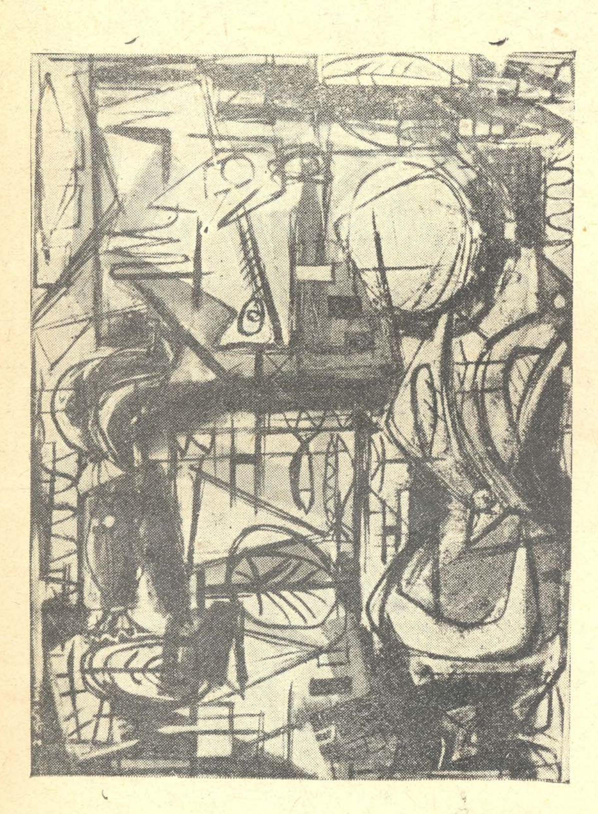
ولقد لفتت اعمال عبد القادر الارناؤوط اهتمام الجميع منذ امد طويل ، فهو ولا شك يتمتع بموهبة فنية صحيحة ، وحس مرهف ، وذوق حاد . رغم تأثره الشديد بأعمال الفنان الالماني « بول كلي » وجماعة « لباوهاوس » وتعاليمهم . ولوحاته تحوي على عناصر شخصية تمتاز بالخيال الغريب وصب اللون الاخضر ، وعليه ان يتعرف عليها ويزيد في البحث والاستقصاء عنها مع الاستزادة من التمكن من اصول الفن التقنية العملية . وسيكون له شأن في مستقبل الفن لدينا .

اما لوحات روبير سلكي فهي ولا شك تحتوي على الاحساس الفني الاولي الضروري لكل عمل فني ، ولكن هذا الاحساس يغيب في شبكة من الخطوط والاشكال التي يكمن من ورائها التفكير المنطقي والثقافة الفنية الواسعة وهذا عيب العقلانيين من الفنانين .

وهنا انتقل الى لوحات فنان عاد الينا بعد غياب طويل . ذهب وهو يحمل في طوايا نفسه موهبة حقيقية ، وعاطفة فنية جياشة ، فصقلها على ايدي اساتذة كبار في روما وتأكد من نفسه بالاحتكاك المباشر مع الاعمال الفنية العالمية . فلفت انظار النقاد الكبار واشترك في فيالي البندقية فمثل بلادنا فيه .. انه فاتح مدرس .

يشعر المرء امام لوحاته بأن صراع الفنان مع المادة قد بلغ حدود المستحيل الذي اصبح هو الدافع الاول والمحرك الاساسي لموهبة الفنان ، كما يشعر بأن لوحاته تحتوي على البدء والنهاية ، وانها الشكل الحر لوصف الاشياء وتحليلها مع الحرية الكاملة المنطلقة من كل قيد بكل عنفوان وشدة .

ان لوحات فاتح هي محاولة التعبير عن العفوية المطلقة . وتذكرنا بروعة لوحات المدرسة الاسبانية المعاصرة . وهي وليدة الاحساس البدائي الذي شعر به الفنان حين عودته الى بلده ووطنه وحينما راح من جديد يحدق في جدران الاحياء الشعبية وينظر الى وجوه الاطفال في الازقة والحارات ، فولدت في نفسه



أشكال انطلقت يده الساحرة فصورتها بكل بساطة واخلاص . . ان فن فاتح مدرس هو فن المستقبل دون شك .

٦ ـ اتجاه تجريدي

واللوحة في الفن التجريدي تنقلب من شيء عادي باهت الى ساحة معركة بدون حدود . حيث يصطدم الفنان جسما لجسم مع المادة فيحولها من شيء الى عاصفة من الخطوط والالوان بكل ما في العاصفة من قوة وعنفوان وجمال .

وفي المعرض عدة أعمال تجريدية ، وها هو مصطفى الارناؤوطي بعد تجربة واقعية تقترب من الرسوم

وجوه جديدة

ناجي

أسماء فيومي

نازحة تجرجر خطواتها المتعثرة .... نازحة عن الحقل ، عن البيت ، عن مهد الطفولة ومأوى الذكرى ، نازحة ورضيعها يغفو على صدرها لا يعرف اين يسير ؟ ولا لماذا ؟ ... نازحة وطفلها متشبث بها خائفا متسائلا ، ترى لماذا يسير في الظلام .. ؟ لماذا ترك البيت والرفاق ... ؟ لماذا الرصاص يدوي في كل مكان .. ؟ ولماذا تجرجره أمه في هذه الطرقات ..



يسير والخوف يلفه فتشرد منه النظرة وتغوص البسمة .... نازحة وكل خلجة من قلبها تهتف بحنان ، للبيت الحبيب ، والزوج الشهيد والاب البعيد ... نازحة والظلام حالك والدروب وعرة المسالك.. نازحة تجرجر مصيرها الكالح مع مليون عربي من البلد السليب .. نازحة حافية القدمين مبعثرة الخطى ، مشعثة الشعر ، نازحة والقلب يضم مأساته ويغلفها بالالم .. فتستجيب العين وتذرف الدمع .. وسرعان ما تجمد الدمعة ... ويصيح الثغر .. لا.. لا لن تبكي مع انها نازحة ... لن تبكي مع انها بلا مأوى ، بلا ذكرى ، بلا زوج ، بلا سند ... لن تبكي .. المستقبل لها لاطفالها ، لرضيعها تغذيه بحوادث النكبة وتجعله يشب على دماء المأساة.. مأساة ابيه الشهيد وبلده السليب ، مأساة امه الشابة طردها المغتصب من بيتها ، من بياراتها ، من حقلها ... مأساة مليون نازح عربي مشردين في كل أفق ... مليون عربي غرباء في بلادهم ... لن تبكي فالمستقبل بين يديها .. ستثأر ... ستثأر من العدو المغتصب ، من الغادر الخائن .. ستثأر انها تملك الاداة انها طفلاها تعدهما للمعركة ... معركة العودة الاكيدة ... نازحة تجرجر اقدامها الحافية في الطريق الوعرة ونظراتها في الافق تستطلع



المستقبل الذي يلمع رغم كل الغيوم ... نازحة ولكنها تبقى تلك الفتاة العربية الشامخة المعتزة بعروبتها وكرامتها ... نازحة رسمتها فتاتنا اسماء الفيومي ابنة الاردن المناضل الذي روعته المأساة ، مأساة النازحين من القطر الحبيب ... مأساة عار العرب في فلسطين وعروبة ابنة الاردن التي تقيم في دمشق معقل العرب الاحرار . ان وعيها القومي العميق المليء بالآمال دفعها الى تصوير النازحة معتدة متأملة ... رفضت ان تجعلها ذليلة مهانة ... وانها لن تذل طالما يوجد انسان يتكلم العربية وطالما توجد نقطة دم تجري بانسان عربي ... اننا نعيش المأساة ونعاني منها الشيء الكثير ولكننا متأكدون من النصر ، من العودة .. اقدامنا تجرجر واقعنا الدامي وعارنا ، ولكن نظراتنا تبقى عالقة بالافق بالذرى مستشفة طريق العودة والنصر من خلال ضباب الغيوم ....

وهناك غير نازحة لوحات عديدة ووجوه كثيرة للطالبة الموهوبة اسماء فيومي عبرت فيها بألوان متناسبة شفافة عن كثير من الانفعالات والاحداث ... كانت موضع فخر معرض مدرستها الثانوية الثانية للبنات ... منها حالمة ... (لوحة حالمة)

وتعيش اسماء مع ملايين العرب حولها الاحداث القومية تعيشها بعواطفها ومشاعرها وتصيغها كلمات اقرب الى الشعر منها الى النثر، وتلقيها بصوتها الدافىء المتموج في باحة المدرسة واحتفالاتها ... في كل مناسبة كلمة وفي كل ذكرى لوحة ... تثور يوم وعد بلفور المشؤوم وتضم صوتها الى صوت فتية حولها تندد بالوعد اللعين ... تنادي فلسطين بحب وحنان وتطمئنها بأن العودة قريبة ...

لا بد من رجعتي

يا بلادي ... يا فلسطيني ...
سأرجع لا بد من رجعتي
يا سهولي ...
يا روابي ...

* * *

حبي حناني كله لك ..
يا جبالي ...



يا وهادي ...
ساعدي .. جسدي بذلا لك ...

* * *

يا والدي ... يا والدي هناك
هناك ترقد بين الكروم
يا والدي هناك تحت شجر الزيتون
اختر مأواك ...
وامي معك .. وامي ...
ولكن .. لم يكن لها مأوى
قبر تحت شجر الزيتون
وبين الكروم
مرقدها بين الشوارع ...
وبين الازقة وتحت العيون ...

* * *

أي والدي ...
أي والدي دمـاك ...
ودماء أمـي ...
لم تترك هناك ...
انها هنا تحفر في قلبي
تحفر في جسدي ...
ليكون حقدي عظيما ..

* * *

يا بلادي .. يا فلسطيني ..
سأرجع لا بد من رجعتي ...
يا سـهولي
يا وهـادي
ساعدي ، جسمي بذلا لـك

* * *

وتئن يوم اسكندرون ، تئن من الجرح النـازف بصمت وأسى .. تئن من المدية المسمومة في اللـواء السليب ولكنها لا تنسى بسمة الامـل يرصع جيـل القدر ... فنراها تحدث أختها هناك تحدثها بمـا يعتلج بقلبها الصغير ...

قلبي يحدثني

أختاه ... قلبي يحدثني ..
أختـاه قلبي يؤنبني ..
أختـاه .. ألمي يعتصرني
وشيء .... في صدري
يصرخ
ينـادي
لوائي ستعود ... لي
مهما طغوا مهما بغوا ..
أنت لي ....

* * *

أختـاه لم تلك النظرات ..
أختاه ما بال العبرات ...
لا ... لا ....
فوق الشوك سنمشي ...
وتحت الشمس سنسير ..
وسـنموت ...
ويموت آخرون ...
وسنلتقي بشذى الالحان ...
برابية الاقحوان ...
بالامـان ....
في لوائي ....

* * *

وتنتشي الفتاة المرهفة بذكرى بور سعيد وفرحة النصر .. فتهزج مع الهازجات ولكنها لا تنسى غضبة البطولة هناك في ارض الاحـرار في بور سعيد ... لا تنسى لؤم المعتدي الغادر .. فنراهـا من اعماق فرحتها تعيش الثورة والنصر ...

قصة بور سـعيد

تمر السنون وراء السنون
وانت بالحلة الخضراء ترفلين
وانت بالحلم الهادي تحلمين
بور سعيـد
تمر السنون وراء السنون
وانقض العنكبوت وكان بمصر
سما قاتلا ، سما اصفر ..
بور سعيد هو ذا المستعمر

* * *

ونظرت الى السماء
وقلت هو القضاء ...
ولـكن ...
ولكن شعبك وجمالك ...
هبوا ... هبوا سـواء
يدافعون ... لا بندقية
ولا قنبلة يدويـة ...
بل بجسد ...
بجسد هو جسدهم
وروح هي روحهم
ويرتفع السد العالي معلنا بدء انتصارنا الاقتصادي ... فتنتشي البلاد طربا وتمور فرحا وتغني فتاتـنا مع الملايين حكاية السد العظيم ...

حكايـة السد العالي

بين رمال بلادي
زهرة عطشى تنادي
زهرة حرقتها شمس البوادي
زهرة تمور ظمأى تنادي
بصوت حزين باد
أنا ظمأي بدون زاد

* * *

وتسرد حكاية السد الى ان تنتهي بقولها
وعدنا نبني سدنـا
سد العروبة يمدنا ..
بالخير بالبركـات
بأحلى الامنيات

* * *

ثم تزار غضبى مع ابطال في الجزائر وتروعهـا التربة الحمراء وغدر الطغاة ...

التربـة الحمراء

أرض تفوح بالدماء ...
دماء تنوفها الشهداء ..
دماء الثورة الحمراء
في الجزائر في التربة السمراء
وتستمر في حديثها عن الثورة هناك وعن الطغمة الانذال .. انها تعيش احداث الوطن العربي ... تزازل الارض أغادير فتعيش تلك الرجـة العنيفـة وتشارك أهلها مأساتهم ....

* * *

أغـــادير

ما ذا أحس .. هنا بأغوار ذاتي بأعماقي
ألف انفعال .. ألف عاطفة تغمر كل آفاقي..
ما ذا أحس ؟ والزلزال زازال اغادير ...
ملأ بالدموع احداقي ...

* * *

ما ذا أحس والانات تأتيني من بعيد
عبر الغيوم .. عبر البحار .. عبر الوجود
أنات الحيارى .. أنات العذارى في ترديد
ترديد يقطع نياط قلبي يملأني بالحزن
يشعرني بالتشريد ...

تشريد في أغادير .. تشريد من جديد

ولا تنسى فتاتنا نفسـها في خضم الاحداث والانتصارات.. فتلجأ الى دفترها الصغير تبثـه ترانيم قلبها العنيف وتخفيه في وسادها الصغير ...

هي نفسي

هي نفسي .. تهفو لكل بعيد ..
بعيد ... بعيد ...
تهفو الى ما وراء العالم
الى ما وراء الوجود ...

* * *

تهفو الى الكوخ الصغير
والجدول الصافي وماء الغدير
هي نفسي تهفو لكل بعيد
الى الينبوع .. ينبوع الحنان
الى السنديانة الخضراء
الى الخجل ....
وقد لون وجه السماء
أواه يا نفس ...
والحلم بعيـد
والامل العذب سيبقى ..
أملا عذبا على فم الوجود
وسيأتي الربيع .. ويروح الربيع
والامـل عذب ....
ولـكن ...
بعيد ... بعيد ...

متى ذهـب

وأمسكت طرف المقعد
تحسسته وكأنـه

جدران معبـد

وقلبي يخفق بين أضلعي
وكـأنه
طفل معربد

البقية في الصفحة ٥٩

بقية المنشور في الصفحة ٥١

بقية المنشور في الصفحة ٥١

التوضيحية في لوحته « النيل عند الجزيرة والقاهرة »، نراه ينتقل الى اعمال تجريدية محضة فيها روح تشاؤمية ونظرة عاقة الى الحياة واجمل اعماله « في اللاجاذبية » حيث ساد السكون وكأنما قلقت الاشياء وصلبت الافكار في الفراغ الروحاني .

وفي لوحات فؤاد كامل جنون الخطوط وثورة البقع اللونية ، وكأن الفنان يدع انفعالاته تسقط مباشرة على اللوحة دون ان يعترض طريقها أي انفعال او رادع عقلاني ، فهي ثورة اللاشعور وتوتره الى اقصى الحدود يضعه الفنان ساعة ولادته على سطح اللوحة الخشن . وطريقته هذه تقترب في كثير من عناصرها الى أسلوب الفنان الاميركي «بولوك» .

٧ ـ محاولات أخرى

ولا بد لي من ذكر اسماء قدمت اعمالا لفتت الانظار لطرافتها واخص بالذكر : زهير علواني لما في لوحاته من اشراق ونفسية حارة ولمسات حية سريعة .

وسيميليا برهان ـ زوجة الفنان سامي برهان ـ في لوحتها الحانية « جبل السيدة » .

وصبري عبد الغني ، وليلى جانجي ، ومحمود بسيوني ، ونشأة الزغبي ، ونوبار صباغيان ، وهشام المعلم ، وغسان صباغ .

وأسفت ان لا يشترك في المعرض فنانو مصر الكبار امثال : سامي رافع ، وانجي افلاطون ، وسيد عبد الرسول ، ومحمد حليم ، وغيرهم ... لان اعمالهم تعطي للمعرض ثقلا فنيا ، وعرضا للمستوى الحقيقي للفن التشكيلي في الاقليم الجنوبي .

ولكن املنا في المعارض المشتركة المقبلة كبير بحيث يشترك كل الفنانين من شمال وجنوب للتعبير عن الحركة الفنية الجديدة التي بدأت تحيي جسد البلاد وتنفخ فيه روحا خلاقة جبارة جديدة .

الدكتور سامان قطاية

اعلان

بتاريخ ٢٨ ايلول ١٩٦٠ رقم ١١٧ ـ ٩٠ قررت محكمة جنايات حماه تجريم المتهم الفار عبد الرحمن بن حمدو لقمس من العليليات بجناية محاولة اغتصاب قاصرة ووضعه في سجن الاشغال الشاقة مدة ثلاث سنوات ونصف وفقا للمادة ٤٨٩ من قانون العقوبات وحجره وتجريده ومنعه من الاقامة في محافظة حماه ثلاث سنوات ونصف قرارا غيابيا قابلا لاعادة المحاكمة حين القاء القبض عليه .

١٩٦٠/١٠/٢٤

رئيس محكمة الجنايات بحماه

اعلان

صادر عن امانة السجل العقاري باللاذقية

ادعت السيدة فكتوريا بنت نقولا فيتال من اهالي اللاذقية فقدان سند التمليك العائد للعقار رقم ٧١٦ ـ ٥ من المنطقة العقارية الشيخضاهر التابعة اللاذقية قضاء وقدرا فمن كان له اعتراض على ذلك مراجعة الطرق القانونية خلال مدة خمسة عشر يوما اعتبارا من تاريخ نشر هذا الاعلان في الجريدة الرسمية



ثبتت اخيرا صحة نظرية التأثير المتبادل بين الاحوال الجوية والنشاط الفكري ... فقد تحركت الهمم الفكرية قليلا مع نسيمات الخريف الباردة ... والادباء الذين كانوا يهربون تحت وطأة لهيب الصيف الى المقاهي عادوا الى بيوتهم أخيرا وفي نفس كل منهم شيء من النشاط المفاجيء الذي تبعثه في حركة الدورة الدموية برودة الامسيات وانعاشات الخريف .. وفي الوقت ذاته قامت ثلاث اديبات بالتشمير عن سواعدهن لشطف وتنظيف مقر اكبر جمعية ادبية كان غبار الصيف قد غطى كل ما فيه من غرف ومكاتب ومقاعد ... ولم يقرب الغبار اي كتاب في خزائن الجمعية لان مقر الجمعية خال من الكتب والخزائن اصلا ... ويقال ان شابا يظن بنفسه انه اديب ناشيء كان يعاون الادديبات الثلاث في نقل الماء بسطل مثقوب .. كما قيل ان رئيس الجمعية او سكرتيره كان يخطط عملية التنظيف ويشرف على تنفيذها بنفسه .

ولا يدل هذا العمل على ديمقراطية الادباء عندنا بقدر ما يدل على ان نشاط الدورة الدموية دغدغ لدى الادباء حنين العودة الى الكتابة او القراءة . بعد ان استنفذت اشهر الصيف كل ما لديهم من طاقات ترفيهية خمولية كانوا يعيشونها روتينيا كل يوم : مقهى فتثاؤب فدق طاولة فتثاؤب فنوم .

.. لقد اخذ الادباء يفكرون في انتاج شيء ما .. بعضهم يبحث عن موضوع لرائعته القادمة التي سوف تنطح جائزة نوبل .. وبعضهم يبحث عن عنوان فقط لانتاجه القادم اذ انه انتهى من مشكلة نطح نوبل في قبره ، وذلك بعد ان نشر روايته السابقة ...

كان ذلك بسبب نسيمات الخريف .

* واهم ظاهرة نشاطية وقعت في دنيا الادب هي مهرجان الشعر .. وهو المهرجان الادبي الفريد من نوعه من حيث وفرة المستمعين وطوفان المتمهرجين ومن حيث ان الناس كانوا يبحثون في مهرجان الشعر عن « الشعراء » ... وهمس احد المتمهرجين في اذن صديق له قائلا :

ـ انني أهنئك فقد كان الجمهور معجبا بك كشاعر اشد الاعجاب وكان الجمهور مرتاحا اليك كشاعر اشد الارتياح .

فرد عليه الشاعر متعجبا :

ـ ولكنني لم اشترك في المهرجان ولم ألق أية قصيدة والله العظيم .

ـ لهذا السبب أعجب بك الجمهور وارتاح اليك .

* ومن الشعر المكتوب صدر ديوانان جديدان : اولهما ديوان « عبق » صدر عن دار الثقافة للشاعر حامد حسن الذي عرفته الاوساط الادبية شاعرا انيقا مرهف الحس رقيق العاطفة صادق التعبير . والثاني ديوان « الغاب المسحور » للاستاذ نجم الدين الصالح ، وهو مطبوع على ورق ازرق انيق ... ويبدو ان بواعث دراسة هذين الديوانين غير متوفرة لدى « الكتبة » الذين أقاموا الدنيا واقعدوها حول « ايام معه » و « أيظن » .

* وعن دار الثقافة ايضا صدر كتاب « زهرة

البركان » للاستاذ خليل هنداوي .. وهو – أي الكتاب – مجموعة مسرحيات .

* وعن هذه الدار ايضا صدر العدد الاول من «سلسلة الثقافة» وهو يضم مجموعة قصصية للاستاذ ياسين رفاعية ...

* وبعد انتظار طويل صدرت رواية الدكتور شكيب الجابري الشهيرة : « وداعا أفاميا » ... والمؤسف حقا ان ينشغل الناس عن هذا العمل الفني العظيم بالحديث عن الصفحة الاخيرة من غلاف الكتاب، وهم غير ملومين .. اذ ان لا ئحة الشهادات العجيبة التي نزلت في هذه الصفحة تغني المرء عن قراءة الكتاب .

* وشرعت وزارة الثقافة والارشاد القومي في طرح مطبوعاتها للاسواق ، بعد ان اهدت عددا كبيرا من المؤسسات العلمية ورجال الفكر نسخا منها ... وهذه المطبوعات هي :

١ – ديوان بشر بن ابي خازم الاسدي الذي حققه الدكتور عزت حسن .

٢ – الشابي .. النبي المجهول من تأليف الاستاذ مصطفى الحبيب بحري .

٣ – من الشعر اليوناني الحديث : ترجمة المطران الياس معوض .

٤ – المحكم في تنقيط المصاحف وهو من عيون التراث العربي القديم .

* وأما المجلس الاعلى للفنون والآداب فلا يزال كما عهده الناس في شارع المزرعة . وقد اعلن اخيرا عن اجراء مسابقة لتأليف مسرحية جديدة .

معارض

* كان المعرض السابع لانتاج الفنان الاستاذ ناظم جعفري أضخم معرض فني شهدته دمشق في حياتها الفنية ، فقد ضم اكثر من ثلاثمائة لوحة من انتاج هذا الفنان الذي وهب كل حياته لفنه .

* وكذلك رعت وزارة الثقافة معرضا خاصا للفنان السيد ابراهيم هزيمة يضم انتاجه من التصوير المائي .

* وفي مقر رابطة الفنانين عرض السيد رجائي الصفدي مجموعة مختارة من انتاجه الفني خلال ايام دراسته في روما .

* ولاول مرة ترعى الوزارة معرضا للتماثيل الخزفية من انتاج الفنان القاهري المعروف الاستاذ حسن حشمت ... وبما ان مواضيع هذا الفنان هي شخصيات شعبية فقد أقيم المعرض في « بيت الفن الصيني » بشارع الصالحية لكسب جمهور جديد من الزوار .

* وافتتح السيد محمود دعدوش قاعة « الفن الحديث العالمي » في شارع بور سعيد .. وقاعة الفن الحديث العالمي اول قاعة من نوعها في بلادنا .. اذ انها ستعرض باستمرار نماذج عربية وعالمية من الانتاج الفني الحديث .. شجعوا الرجل الذي قام بهذه المغامرة ...

صدق أو لا تصدق

* محمد الحريري الشاعر المعروف تراهن مع احد اصدقائه على تناول خمسين صبارة .. وأكلها جميعا دفعة واحدة .. ما شاء الله .

* محمد حيدر القصاص المعروف – ؟ – انحرف عن الكتابة الى هواية تربية لحيته .. لحية محمد الجديدة سوداء ولحية ارنست همنجواي بيضاء .

* نجم الدين الصالح نشر صورته مرتين على صفحات ديوانه « الغاب المسحور » . وفي المرتين كتب تحت صورته كلمة « الشاعر » زيادة في الايضاح. والصورة جميلة الى حد ما .

* ادوار حشوة .. يشد الهمة لطباعة مجموعة قصصية عنوانها : الاقدام التي تثير الغبار .

* واحد من الناس قرر ان يكتب مقالا بعنوان « تاجر البندقية وتاجر اللاذقية » ليبين الفروق الهائلة بين كتاب شكسبير ورائعة الدكتور شكيب الجابري التي شهد فيها تاجر من اللاذقية بأنها .. ماذا اقول ؟!

أسماء

* الاستاذ نجاة قصاب حسن مدير الفنون بوزارة الثقافة قام بجولة على كافة محافظات الاقليم وعاد بعد ذلك ليرسم لمديرية الفنون هذا المنهاج :

١ – تكوين ست فرق فنية تابعة للوزارة هي :

فرقة المسرح القومي (بفروعه الثلاثة : القومي والشعبي ومسرح الطليعة) . وفرقة المسرح الايمائي . وفرقة مسرح العرائس . والفرق الموسيقية (التخت الشرقي، وفرقة موسيقى الحجرة) وفرقة الكورال . وفرقة الفنون الشعبية : (الدبكة والسماح) .

٢ ـ التعاون الى اقصى حد مع المؤسسات الفنية الحكومية الاخرى كالمسرح العسكري وادارة التلفزيون والاذاعة ورعاية الشباب وتنسيق النشاط الفني العام مع هذه المؤسسات جميعا .

٣ ـ تشجيع الفرق الفنية الاهلية في الاقليم والتعاون معها على أسس عملية جديدة .

٤ ـ التشجيع على تأسيس فرق فنية في كل مكان ابتداء من القرى الكبيرة والمدن الصغيرة ...

* الفنان هاني صنوبر قام بعمله الفني الاول حين اشرف على اخراج مسرحية « ابطال بلدنا » التي قدمها ٤٦ ممثلا وممثلة من فناني المسرح القومي .

* الشاعر نديم محمد دفع الى المطبعة قصائد ديوانه الجديد : « رفاق يمضون » .

* خليل هنداوي انتقل الى .. وزارة التربية والتعليم .

* يوسف الخطيب انتقل الى .. بيروت ليعمل صحفيا هناك .

* سامي الدروبي قدم لوزارة الثقافة النصوص العربية لثلاثة كتب مترجمة عن الادب الجزائري والعالمي

* الفنان صلحي الوادي .. قال عنه ابو بكر خيرت : انه سيكون حتما من قادة الصف الاول في الموسيقى العربية .

* الشاعر امين نخلة .. عاش اياما حلوة في دمشق التي يحب .

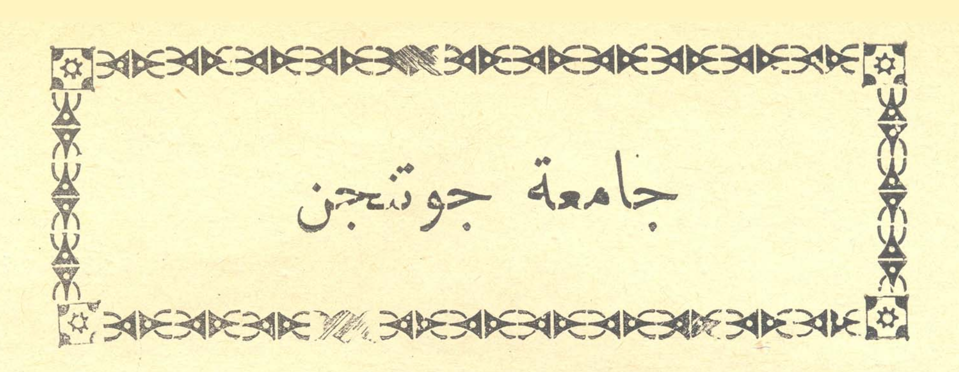
* الشاعر سعيد عقل اعلن عن هزته العقلية ثلاث مرات : مرة حين دعا الى تدوين اللغة العربية بالحرف اللاتيني ، ومرة حين صرح بأنه سينافس نوبل حين يخصص جائزة باسم سعيد عقيل ، ومرة ثالثة حين كتب مقدمة لديوان احد شعراء دمشق .

بقية الصفحة ٥٥

وزجرته
فبكى
وذهب بعيدا بعيدا
وسألته العودة
فعصاني
ولحق بك
يا حبيبي
الى حيث انت تبعد ....

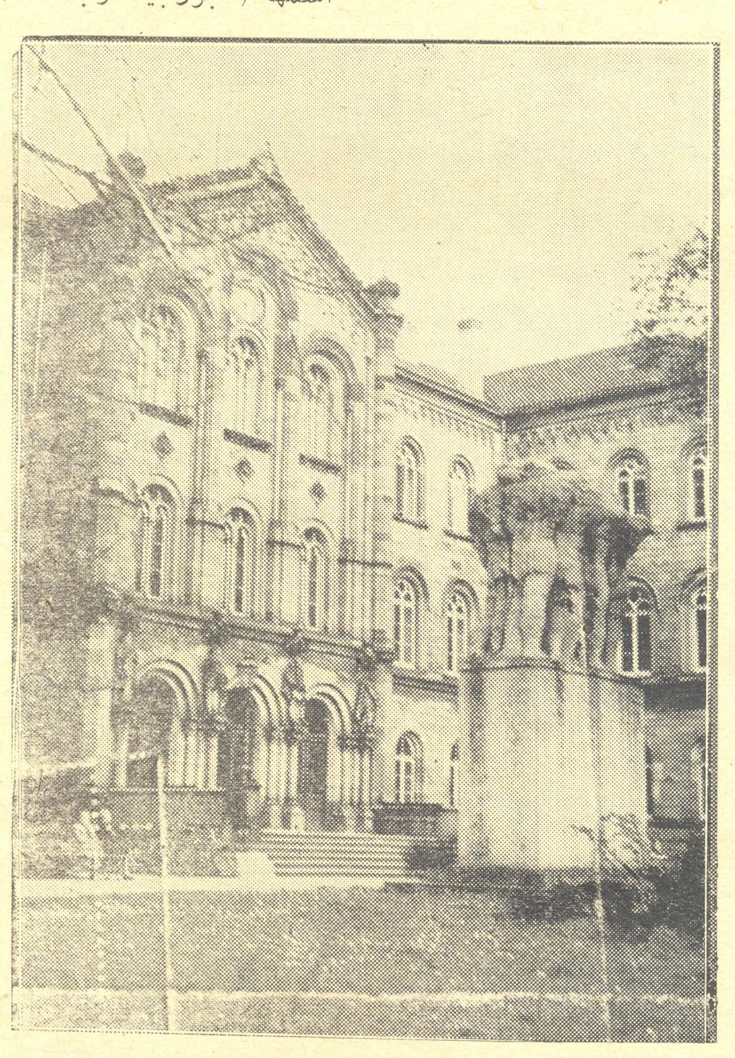
* * *

وهكذا تعيش فتاتنا اسماء الفيومي الاحداث والانفعالات وتعمل بصمت وهدوء واخلاص ... واستطيع القول ... ان استمرت في اخلاصها للقلم واللون ستصل الى ما تصبو اليه حتما وستحقق احلامها الكبيرة ... وما احوجنا كأمة ناهضة الى اخلاص الفنان وابداعه ... ما أحوجنا الى تخليد عواطفنا القومية والخاصة وال ... ما أحوجنا الى من يهب حياته لهذه العواطف والاحداث ... واني ارجو ان تمر السنوات فأجد لفتاتنا الصغيرة التي لم تبلغ السابعة عشرة بعد لوحات ولوحات وانتاج



جامعة جوتنجن

تقع مدينة جوتنجن في جمهورية المانيا الاتحادية وعلى اكبر الطرق الشمالية الجنوبية التي تبدأ من مدينة هامبورغ مارة في مدينة هانوفر ومؤدية الى مدينة فرانكفورت .



وتعتبر هذه المدينة صغيرة بالنسبة لمدن المانيا الاخرى اذ يبلغ عدد سكانها حوالي ٨٠ الفا .

ويبلغ عدد طلاب جامعة جوتنجن ثمانية آلاف ، أي بنسبة ١/٨ من عدد سكانها . ونظرا لكثرة الطلاب هؤلاء تأثرت الحياة في المدينة بالحياة الجامعية وساد الوئام بين الطلبة والسكان .

لقد أسست الجامعة في سنة ١٧٣٧ ، واخذت اسمها (جورجيا اوجست) من اسم الملك جورج اوجست الثاني حاكم انكلترا في ذلك الوقت .

ولم تمض فترة قصيرة على افتتاح جامعة جوتنجن هذه الا واصبحت تضاهي جامعات المانيا القديمة . وفي اواخر القرن الثامن عشر ومنذ ذلك

الحين تعد هذه الجامعة من احدث الجامعات، وبعد مرور ثلاثين عاما من انشاء الجامعة اصبحت من اكبر جامعات اوروبا من حيث تعداد الطلاب ، كما ان مكتبة الجامعة لتقف في طليعة المكتبات الجامعية في القارة .

ولقد حاز فرع العلوم الرياضية الطبيعية على اهمية كبرى . فمثلا كان البروفسران جاوس وفيبر هما اول من أنشئ الاتصال التلغرافي المسير بالقوى المغناطيسية الكهربائية كما وقد افتتح احد علماء الطبيعة والمختص في علوم الذرة ماكس بورن حقبة جديدة في دنيا العلوم الطبيعية هذا ولقد حصل هذا العالم مع اربعة من العلماء الآخرين في العلوم الطبيعية من جامعة جوتنجن حصلوا على جائزة نوبل .

وكان من اشهر طلاب جامعة جوتنجن الامير (اوتو فون بسمارك) ، والذي تمكن من ان يلعب دورا هاما في حياة المانيا واوروبا بأكملها ما بين سنة ١٨٦٢ وسنة ١٨٩٠ .

ويجدر بنا ان نذكر في هذا المجال اهمية جامعة جوتنجن العلمية الكبيرة من حيث وجود مركز جمعية ماكس بلانك فيها . هذا وتعمل جمعية ماكس بلانك هذه بفروعها التسعة في المانيا على نشر ومساندة الابحاث العلمية .

ويبلغ عدد الطلاب الاجانب في جامعة جوتنجن ٥٧٠ طالبا من اصل ٧٨٢١ طالبا اذ يدرس منهم ١٧٨ طالبا في كلية الطب ، و١٢٣ طالبا في كلية علوم الفلسفة، كما وينتمي ١٠٦ طلابا من هؤلاء الى كلية علم الرياضيات الطبيعية و٧٦ طالبا الى كلية الزراعة كما ويدرس ٢٧ طالبا علوم الحقوق والقانون وعلم الاقتصاد ويدرس ٢٥ طالبا منهم طب الاسنان و٢١ طالبا علم اللاهوت (البروتستنت) ، ويدرس ١٤ طالبا تدبير شئون الغابات .

ان معظم الطلبة الاجانب الذين يأتون الى هذه الجامعة من بلدان ما وراء البحار وهم من ايران ويبلغ عددهم ١١٣ طالبا ومن ثم تتبعهم الولايات المتحدة الاميركية ويبلغ عددهم ٦٦ طالبا . ويبلغ عدد الطلاب القادمين من الجمهورية العربية المتحدة ٢٧ طالبا ، ومن الهند ١٢ طالبا ومن اندونيسيا ١٠ طلاب ومن العراق عشرة طلاب كذلك وكذلك عشرة طلاب من تركيا كما ويدرس في هذه الجامعة طلاب من البلدان التالية اسماؤها : (اثيوبيا ، - الحبشة - افغانستان وبورما وسيلان والصين وغانا والاردن وكوريا ولبنان وليبيريا ونيجيريا والباكستان والسودان) .

واما مركز التعارف العالمي (فوير انترنتسيونال بيجيجونج) فيعمل على فتح المجال امام الطلاب الاجانب بالاجتماع والاختلاط مع زملائهم الطلاب الالمان ، والتعارف بهم . اما النوادي التي تمارس نشاطها في ذلك المركز فهي نادي (كوزمو بوليتان) ، ورابطة الطلاب العالمية بالاضافة الى الجمعية العالمية للشئون الجامعية (ويرلديونيفرستي سيرفيس) .

ويسكن في بيت الطلبة العالمي في مدينة جوتنجن ٦٠ طالبا المانيا و ٦٠ طالبا اجنبيا . ولهذا البيت مكتبة خاصة مزودة بمجلدات يبلغ عددها ٢٣ الف مجلد . وتشمل هذه المجلدات مصادرا للابحاث الدراسية هذا ويخدم هذا البيت بما فيه مكتبته في المجال الدراسي وفي مجال اقامة السهرات الاجتماعية ومما هو جدير بالذكر فان شغف الطلاب الاجانب على مثل هذه الحلقات والحفلات لهو كبير جدا، حيث انهم يستفيدون منها كثيرا في مجال الاختلاط والاحتكاك المرغوبين .

الى ذات العيون الخضر

لقد ساح غيري بزرق العيون وغنى لها رائعات اللحون
وطاف وتحدوه احلامه بعيدا بعيدا خلال القرون
يعب من الكأس في نشوة ويمضي على زورق من فتون
يرجع في السر أغرودة نمتها اليه نشاوى السنين

ولكنني سائح في البعيد أبيع حياتي لخضر العيون
أغني واشرب نخب الجمال واحيا لدنيا عساها تكون
أداعب كأسا بها فرحة واضفر تاجا من الياسمين
أطيف شعاعا على هدبها وأخطر حلما أمام الجفون

خلودا تربعت عرش القلوب وألهمتني شارداتي الحنون
ولونت شعري بأبهى نضار وفجرته دافقا بالحنين
وأرقصت دنيا فعاشت رؤى وصفق كون وتاهت سنون
مست بعينيك مني الشغاف فثارت جراحي وجنت جنون

فألقيت نفسي على رسلها أجوب الفضاء واطوي الحزون
أغني لعينيك لحن الوفاء وأنشد في ناظريك اليقين

مصطفى فهمي الفاروقي

بقية المقال المنشور في العدد الماضي

ولكن هل نعني من هذا الحكم ، تفضيلا للتوقف والرجعة هنا ؟

ان الرجعة نكوص والتقدم موت ، ولابد من أن تكون للتقدم والحياة . والموضوع ليس موضوع مفاضلة ، بل موضوع ضرورة وتلاؤم مع هذه الضرورة . فلا بد لنا اذن من ان نجهد في هذه المرحلة من التطور ، لايجاد صيغة اجتماعية ، نبقى فيها على الاسرة كجو سليم من العطف والحماية والتراحم ، دون ان نترك منها عقبة في سبيل التطور ، أو سلطة عمياء تثبت وتخنق اتجاه الاحداث للتلاؤم مع ظروفهم الاجتماعية والانسانية المتطورة المتجددة .

وموضوع الاسرة، يبقى دائما ، موضوع السلطة الاولى في حياة الطفل . وهذه السلطة التي نريدها درعا للوقاية من الانحراف والجنوح ، يمكن ان تفسد أو تنهار أو أن تضعف كميا وكيفيا . وكان موضوع بحثنا أثر هذا الضعف والفساد في نفسية الطفل وتكوين طباعه . ان الاولاد يريدون ان يروا فوقهم سلطة تحميهم ، وتحيطهم بالعطف والرعاية كما تفرض احترامها عليهم . ولكن مثل الاحداث هنا كمثل الشعب أمام سلطة الدولة ، فهو يريدها سلطة متوازنة عادلة . فضعف الدولة وفوضاها أمور تشجع على الخروج على قوانينها ، كما ان تسلطها واستبدادها ، يدفعان الشعب للتمرد والثورة .

والولد أيضا تؤذيه قسوة سلطة الاهل وتحرف طباعه . ولكن اذا ما كره الطفل ظلم أهله ، فانه يكره أكثر من ذلك ، هؤلاء الحماة الطبيعيين، بغضهم وتفككهم ، العماد الاساسي الذي يركنون اليه .

وكما هو الأمر في الدولة ، يجب ان يقوم في الأسرة تسلسل للسلطات فهناك الأب أولا ، والام ثانيا ، ويحسن ان يكون لهما وحدهما السلطة في البيت ما أمكن . ونعرف جميعا ، التذمر الكبير الذي يواجه به الطفل أوامر أخوته أو أقاربه أو مربيته ، اذ لا يرى فيهم الا وسيطا دخيلا بينه وبين سلطة الابويين .

لقد ألححنا كثيرا على دور الام الاول في تكوين طباع طفلها ، وأهمية وجود الام بجانب ابنها ، تشعره الرعاية والحب . ونؤكد هنا على سلطة الاب ، وعلى واجب الام في ان تحرص على ان تبقى لهذه السلطة هيمنتها واحترامها . ولا يشجع الطفل على التمرد والمروق ، كما يشجعه استهتار الام بالاب أو تسلطها عليه . ولكن سلطة الاب ، سلطة يجب ان تشعر بوجودها وهيمنتها ، وليس لها ان تكون دائما حسيبة رقيبة أو أن تتدخل في كل شيء . ومن هنا نرى ان بقاء الاب بعيدا عن البيت ، أكثر ساعات يومه ، ليس له كبير تأثير في حياة الطفل ونفسيته .

تحدثنا عن مسؤولية الاسرة في انحراف الاحداث . والاسرة ، اذ لم يكن لها هنا في بلادنا ، من التفكك مالها في دول أخرى، فان للطريقة التي تمارس بها الاسرة سلطتها وتربيتها أثرا آخر في انحراف من نوع آخر لايقل خطورة عن الجنوح ، لما يؤدي اليه من تثبت وتخلف عاطفي وما يسببه من اضطرابات نفسية وأمراض . وهذا موضوع آخر جدير بالبحث والاهتمام ، أما هنا ، فلنحرص على أن تسود حياتنا مع أبنائنا المحبة والتفهم . ولنعمل جميعا ، لنبعد أولئك ، الذين حرموا النشأة السليمة في أسرة سليمة ، الجفوة والخوف والحرمان .

الدكتور جمال اتاسي